

عمارة المقاومة الفلسطينية في مواجهة الهندسة الاستعمارية نمط عمارة بيت "الممكن والمتاح" أنموذجاً

زياد حميدان

كاتب وباحث، فلسطين

تتناول هذه الدراسة ظاهرة العمارة في سياق الحالة الاستعمارية في فلسطين، وذلك بتتبع سيرورات وصوروات المواجهة بين عمارة المقاومة الفلسطينية وسياسات الهندسة الاستعمارية. وانطلاقاً من العلاقة الجدلية بين المعماري والاجتماعي، تعمل الدراسة (مشفوعة بالمرئيات من أرشيف الباحث وإحالاته) على تحليل دور عمارة البيت في دعم صمود الفلسطينيين على أرضهم، وحماية هويتهم وثقافتهم وتراثهم بعد احتلال سنة 1967. تتبّع الدراسة ظهور نمط عمارة بيت معاصر، هجين، كنتاج لحالة "تناص" معماري من أنماط وطرز معمارية عديدة، إضافة إلى التمثّلات الاجتماعية حول عمارة البيت. تسلّط الدراسة الضوء على نمط عمارة البيت، الذي كان متاحاً وممكناً أمام الفلسطينيين، في ظلّ إكراهات الواقع الاستعماري، وتُسمّى نمطاً هذا البيت المعماري: نمط عمارة بيت "الممكن والمتاح". وتجد الدراسة أن هذا النمط يُمثل أحد أهمّ مظهرات عملية إنتاج المكان، وتكتيكات عمارة المقاومة الفلسطينية، في سياق الصراع ومواجهة استراتيجيات الهندسة الاستعمارية الرامية إلى السيطرة على الأرض والإنسان (المكان والجسد)، والهيمنة معمارياً على فلسطين كجغرافيا، وتاريخ، ومكان، ومخيال... حيث تجلّت العمارة في فلسطين، كفضاءات وأمكنة مقاومة، وفي المقابل، كأداة استعمارية.

مقدمة

تُعتبر العمارة الفلسطينية جزءاً من عمارة شرق متوسطة متنوّعة شهدت في أواخر القرن التاسع عشر صعوداً واعداداً انحسر مع نكبة سنة 1948 التي شكّلت "حالة فقدان" كبرى على مستوى الواقع والمخيال. تجلّت حالة "فقدان الشيء"¹ على صعيد العمارة، كحالة "قطع تاريخي حاد" رافقه ونتج عنه، الكثير من عمليات المحو والتدمير والسرقة واضمحلال أنماط وطرز معمارية. وقد أدّت النكبة إلى تطوّر خصوصية معمارية فلسطينية، إلى جانب هويّتها المعمارية الأوسع في محيطها العربي والمتوسطي.

بعد النكبة أُخضع الفلسطينيون داخل أراضي فلسطين 1948 لنظام "الحكم العسكري"² من أجل السيطرة الكاملة على حياتهم. حوَصر الفلسطينيون في قراهم وبلداتهم، ومن بقي في المدن (يافا وحيفا وعكا واللد والرملة...) عاشوا فيما عرف بأحياء "الغيتو". تمّ تدمير المئات من القرى والبلدات الفلسطينية المهجّرة، ليُبنى مكانها المستوطنات، وجرى الاستيلاء على الأرض من خلال "قانون أملاك الغائبين" (1950) و"قانون استملاك الأراضي" (1953). وفي هذا السياق، تعرّض البدو الفلسطينيون في النقب إلى تهجير قسري، بهدف التطهير العرقي، عن أراضيهم الشاسعة، وتم "تركيزهم" في "منطقة السياج" شمال النقب، وصُنِّفت القرى البدوية أنها "غير معترف بها" لتُحرم من كافة الخدمات.³ وقد تعدّت سياسات السيطرة على الإنسان حدودها إلى الكائنات الأخرى، فأقرّ قانون يمنع تربية وري الماعز، "قانون الماعز السوداء" (1950)، التي تمثّل ثروة البدو، وذلك بحجّة الحفاظ على البيئة.

بعد تفكيك نظام الحكم العسكري في العام 1966، والذي كان قد تسبّب بحالة "جمود معماري" فلسطيني، تمتّع الفلسطينيون بدرجة من "الحرية"، مع مواجهة سياسات "تمييز عنصري" مرّكبة، فيما تقلّصت الفضاءات/الأمكنة الخاصة بهم، أرضهم، عبر العديد من المخطّطات، كان آخرها مشروع برافر، ناهيك عن محاولات طمس الهوية الوطنية والثقافية والمعمارية المستمّرة إلى يومنا هذا.

لم ينقطع التواصل بين الضفة الغربية وقطاع غزة، والمحيط العربي والمتوسّطي بعد نكبة 1948، فاستمرّ تطوّر عمارة هجينة، معاصرة، متأثرة بالعمارة الحديثة. كما شهدت هذه الحقبة ظهور عمارة مخيمات اللاجئين، التي ظهرت أيضاً في الشتات. وإثر احتلال سنة 1967، خضعت الضفة الغربية وقطاع غزة لنظام "حكم عسكري"⁴ وظّف العمارة في تنفيذ سياسات الاحتلال الاستعمارية التي ترى أن "الأرض" هي جوهر الصراع الذي يجب السيطرة عليه، وذلك عبر إعادة إنتاج "المكان" وإشغاله بالمستعمرين بعد إفراغه من المستعمرين.

شكّل "البيت" أحد عناصر الصراع والمواجهة المعمارية مع المشروع الاستعماري، باعتباره "مؤسسة اجتماعية" وتجسيدا للمكان الفلسطيني، في مقابل المستوطنات "كمنشآت عسكرية وأمنية"، كما وشكّل رأس حربة في الهندسة الاستعمارية. وكانت معادلة ذلك "التقابل" مختلّة لصالح المستعمر بفعل قوته وأدواته الاستعمارية، إلا أن معادلة أخرى كانت تميل لصالح المستعمر، على جبهة مواجهة ثانية، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعمارة، ألا وهي "الديموغرافيا". كان كلُّ زواج وكلُّ مولود فلسطيني جديد قد أسس مسبقاً لبيت جديد ينتج المكان. توسّعت المستوطنات وهي تنتظر قدوم مهاجرين "مستجلبين" جدد، فيما يتزايد الفلسطينيون ديموغرافياً ومعمارياً على الرغم من صرامة سياسات الهندسة الاستعمارية واستراتيجياتها. لقد استخدم الفلسطينيون كلُّ ممكن و متاح للصمود وحماية وجودهم وأمكنّتهم، الأمر الذي ساهم في تشكّل نمط عمارة بيت جديد، ساهم في تلك المواجهة، ولعب دوراً في إنتاج علاقات اجتماعية وثقافية جديدة.

أولاً: المقاربة المنهجية والمفهومية

ترصد هذه الدراسة نمط عمارة بيت "الممكن والمتاح" في السياق الاستعماري عبر ملاحظة التكتيكات والممارسات المعمارية والاجتماعية الفلسطينية، في مواجهة استراتيجيات الهندسة الاستعمارية. وتستند في تأسيسها النظري، حول الاجتماعي/ المعماري، على أسس علم اجتماع العمارة، ومقاربات هنري لوفيفر وميشيل فوكو وميشيل دو سارتو حول المكان، والمراقبة، والإستراتيجية، والتكتيك. وبالإضافة إلى ذلك، يعتمد الارتكاز في التحليل المعماري/ الاجتماعي على مبادئ فيتروفوس⁵ في العمارة، وهي: "المتانة والمنفعة والجمال"،⁶ ومقاربة أمبرتو إيكو السيميائية. أما على الصعيد المنهجي، فقد اختيرت محافظة بيت لحم كحالة دراسية، لتكون بيوتها عينةً قصدية للدراسة، حول نمط عمارة "الممكن والمتاح"، الهجين، المعاصر في الفترة 1967-1994.

أما مفهوماً، فتعتمد هذه الدراسة ثلاثة مفاهيم، هي: أولاً، نمط عمارة بيت الممكن والمتاح، أي عمارة البيت والتكتيكات التي كانت "ممكنة ومتاحة" أمام الفلسطينيين، في ظلّ الإكراهات الاقتصادية، والأمنية، وفي مواجهة استراتيجيات الهندسة الاستعمارية، في الفترة 1967-1994. ونعني بـ"الممكن" القدرة المالية واللوجستية المتوفرة لبناء البيت، كعامل ذاتي. ونعني بـ"المتاح" الظروف الملائمة لبناء البيت: الفرص والثغرات، أي الجانب القانوني، والتحليل في طرق البناء، والمماثلة في المحاكم ودفع الغرامات، أو في الحصول على تراخيص. وثانياً، عمارة المقاومة، أي أشكال العمارة الفلسطينية، التي تواجه استراتيجيات الهندسة الاستعمارية، وتتوافر فيها مبادئ "ثلاثية فيتيربيوس" الثلاثة، وهي: المتانة—الاستدامة المعمارية للمكان، والمنفعة—ملاءمة المكان للعيش، والجمال—رموز الهوية التراثية ورفض المعمار الاستعماري. وثالثاً، استراتيجيات الهندسة الاستعمارية، أي سياسات السيطرة على المكان والجسد عبر: إعادة إنتاج المكان، وإماتة أو إخضاع الجسد وجعله "تابعاً"، من خلال الضبط والمراقبة، والسياسات الحياتية وسياسات الموت.

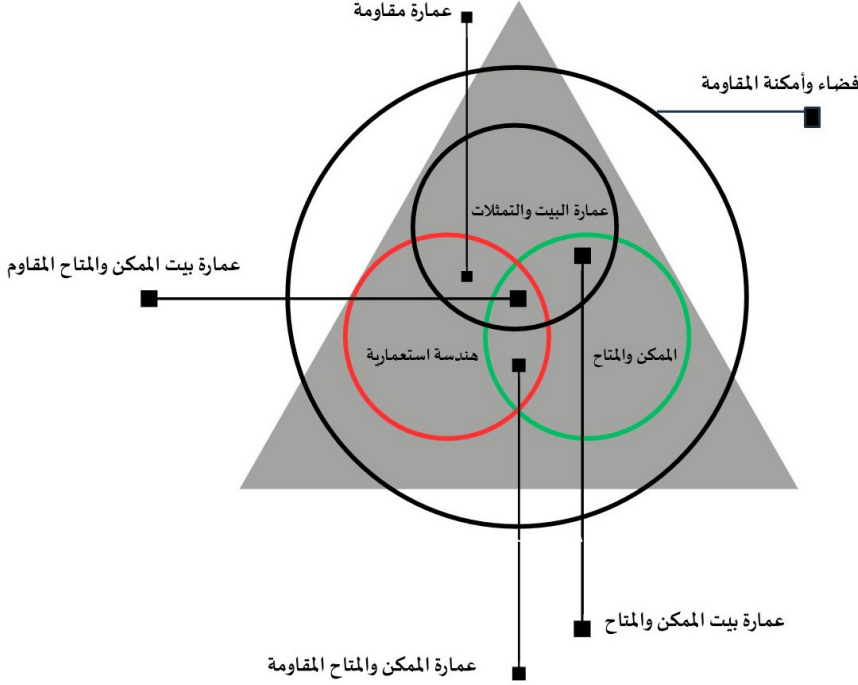
وأما من حيث الإشكالية، فتطرح الدراسة السؤال التالي: كيف أصبح نمط عمارة "الممكن والمتاح" للبيت بعد احتلال سنة 1967 أحد أنماط عمارة المقاومة الفلسطينية في ظلّ سياسات الهندسة الاستعمارية واستراتيجياتها؟ ومن حيث التحليل، تعتمد الدراسة على منهج كيفي استقرائي، ودراسة الحالة والملاحظة المباشرة والملاحظة بالمشاركة. ولذا، تعمل الدراسة على تحليل كيفي، سوسيلوجي/ سيميائي، لعينة قصدية من عمارة بيوت محافظة بيت لحم، في المدينة والريف والبادية والمخيم، في الفترة 1967-1994. وينهض تحليل نمط عمارة "الممكن والمتاح" للبيت، كما أسلفنا، على "ثلاثية فيتروفوس" باعتبارها نقطة مرجعية ومعيارية لقياس مدى نجاعة عمارة البيت كفضاء اجتماعي ورمزي مقاوم، يواجه السياسات الاستعمارية. ويضاف إلى ذلك عقد الباحث سلسلة من النقاشات المطوّلة والمعمّقة حول نظريات وتطبيقات العمارة مع الأكاديمية والمعمارية المصرية منة الله الحسيني، وشيخ البنّائين في بيت لحم والباحث الساحوري يعقوب إلياس الأطرش. كما استفاد الباحث ووظّف خبراته العملية لسنوات كعامل في قطاع البناء، إلى جانب تجربته الشخصية خلال عمارة بيته التي امتدّت لسنوات، وعمله في مؤسسة "بدو بلا حدود".

واستناداً إلى هذا التوجُّه المنهجي، تقوم الدراسة بتحليل مزدوج: أولاً، تحليل معماري لنمط التصميم المعماري المعاصر/ الجديد للبيت على أسس التنظيم الفراغي Spatial Organization (منطقية التصميم المعماري للبيت، وفقاً للجمالية والوظيفة، والمتانة)، والإنشاء Structure (أي عمليات ومواد البناء)، والعناصر الجمالية Aesthetical Elements (أي محدّدات جماليات العمارة في البيت). وثانياً، تحليل سيميولوجي معماري للبيت وفق: الخارج والداخل، والانفتاح والانغلاق، والثابت والمتحوّل، والطبيعي والاصطناعي، والقديم والجديد، والحركة والتنقل والسكون داخل البيت.

وأما عن أسباب اختيار إطار الدراسة المكاني والزمني، فتتوزّع أسباب موضوعية وأخرى ذاتية. أما موضوعياً، فقد تمّ اختيار محافظة بيت لحم باعتبارها "حالة دراسية" مناسبة بامتياز، وتم اختيار عيّنة البحث—البيوت بسبب مكانة بيت لحم الدينية والتاريخية، وتميّز موقعها الجغرافي المتنوّع مناخياً وبيئياً، إذ تقع بين القدس والخليل وأريحا والأغوار وساحل فلسطين، وتضم المدن والبلدات والأرياف والبادية، إلى جانب مخيمات اللاجئين. وقد أدّى كلُّ ما سبق إلى غنى وثرء وتنوّع أشكال العمارة في محافظة بيت لحم، ومنها: التاريخية، والتراثية والتقليدية، والمحليّة، وأشكال العمارة العامية والعمارة الحديثة.

وزمناً، تمّ اختيار الفترة 1967-1994 لتكون إطار الدراسة الزمني نظراً لوقوع الاحتلال وتطبيق سياسات الهندسة الاستعمارية، في الضفة الغربية وقطاع غزة، على شعب أعزل، دون كيان سياسي أو إداري على الأرض، أي على شعب يدير نفسه بنفسه. وفي هذا السياق، يعتمد الفلسطينيون غالباً على "بني تقليدية" حملت على عاتقها إدارة المجتمع والعمارة والتخطيط الحضري، بالضرورة بموازاة الدعم والتوجيه الوطني من الخارج، مثل: شقّ الشوارع الترابية، وتمديد شبكات الماء، وعمارة الفضاءات العامّة كالمدارس، والمساجد، والكنائس، والأندية. وقد انتهت هذه الحقبة مع قيام السلطة الفلسطينية، حيث نصّ اتفاق أوسلو 1993 على تولّي السلطة الفلسطينية صلاحيات إدارية في مناطق "أ" و"ب"، ومنها الإشراف والتخطيط الحضري.

وأما الأسباب الذاتية، فقد أتاح القرب الجغرافي، بالنسبة للباحث، دراسة البيوت بالملاحظة المباشرة والملاحظة بالمشاركة. هذا، وتستثني الدراسة عمارة القدس وقطاع غزة وعمارة فلسطيني 1948، لاعتبارات تتعلّق بعدم القدرة على الوصول إليها، ناهيك عن كونها تحتاج إلى دراسات أخرى أوسع.



مرئية رقم (1): بنية المفاهيم وتقاطع علاقاتها، مخطّط الباحث، 2026

ثانياً: المقاربة النظرية علائقية العمارة والعمران وعلم الاجتماع

تنطلق الدراسة من بديهية أن العمارة "ظاهرة اجتماعية"، وهو ما يوجب توطئة لتأصيل وتوطين مفهومي العمران والعمارة.⁷ يفترض خالد عزب في كتابه **العمران: فلسفة الحياة في الحضارة الإسلامية** أن أسس علم العمران قد وُضعت قبل ابن خلدون، مستدلّاً على أن ابن رُسته أورد في كتابه **الأعلاق النفيسة** في القرن الثالث الهجري أن "العمران متّصل بمراكز استقرار الإنسان". كما يذكر عزب أن ابن خرداذبة قد قسّم سطح الأرض إلى ثلاثة أثلاث: فثلث الأرض عمران مسكون مأهول، وثلث براري غير مسكونة، وثلث بحار.⁸

يعتبر ابن خلدون مؤسس "علم العمران"، حيث يعرفه في كتاب **المقدمة** قائلاً: "اعلم أنه لمّا كانت حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني، الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال." ثم يميّز ابن

خلدون بين العمران والعمارة، فيقول: "هذه الصناعة أول صنائع العمران الحضري وأقدمها، وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للكُنّ والمأوى للأبدان في المدن." ⁹ يصنّف ابن خلدون العمران، وضمناً العمارة، فيقول: "فالبدو هم المقتصرون على الضروري في أحوالهم العاجزون عمّا فوقه... ولأنّ الضروري أصل والكمالي فرع ناشئ عنه فالبدو أصل للمدن والحضر، وسابق عليهما لأن أول مطالب الإنسان الضروري ولا ينتهي إلى الكمال والترف إلا إذا كان الضروري حاصلًا." ¹⁰ وفقاً لهذا التصنيف الخلدوني، ترى هذه الدراسة أن أهم تجليات العمارة في فلسطين تتوزّع على عمارة: المدينة والريف، والبادية، والمخيم. فيما تتوجّب الإشارة إلى ربط ابن خلدون بين العمران والعمارة في وقت مبكر جداً، وهو ما نتج عنه، لاحقاً، تشكّل علم اجتماع العمارة المعاصر. ¹¹

يعتبر علم العمران "علم الاجتماع البشري" وسلف علم الاجتماع المعاصر، فيما تعني العمارة "فنّ البناء" باعتبارها منتجاً اجتماعياً. في تقديم كتاب سببية وجدلية العمارة لرفعة الجادري، يقول مسعود ظاهر: ¹² "العمارة ظاهرة اجتماعية متعدّدة الغايات، وهي تستجيب لحاجات اجتماعية ولمتطلّبات العلاقات العائلية والطبقية والتراتبية الاجتماعية." ¹³ كما تخضع العمارة باعتبارها "منتجاً اجتماعياً" للقوانين والتغيّرات الاجتماعية. يقول ديفيد هارفي في كتاب **مدن متمرّدة**: "إن المدن منذ بزوغها، نشأت نتيجة للتركيز الجغرافي، والاجتماعي، لفائض الإنتاج. لذلك التطوير العمراني دائماً ظاهرة طبقية نوعاً ما." ¹⁴ تواجه العمارة في فلسطين، كحالة استعمارية، السياسات الاستعمارية، وتشبّك معها، لكنها في الوقت ذاته، تتفاعل داخلياً، وفق ديناميات الصراع والوجود الاجتماعي، كالعلاقات الطبقية. ويلاحظ، على سبيل المثال، التباين المتعلّق بتمثّل "الناس" وإنتاجهم للأمكنة، ومنها البيت، ارتباطاً بموقعهم الطبقي، أو انتماءاتهم الأخرى، أو في موقفهم من قضايا عديدة، وعلى رأسها النضال التحرّري الشمولي.

البيت كفضاء ومنتج اجتماعي

تتقاطع العمارة مع الاجتماعي في العديد من المفاهيم، وأهمها مفهوم الفضاء/ المكان. ¹⁵ يستهلّ هنري لوفيفر كتاب **إنتاج المكان** قائلاً: "الفضاء (الاجتماعي) هو منتج اجتماعي، ثم يردف "قد تبدو هذه الفكرة بديهية، بل وتكراراً لما سبق. مع ذلك، ثمة ما يدعو إلى دراستها بعناية، والتمثّن في دلالاتها ونتائجها قبل قبولها." ¹⁶ ويخلص لوفيفر إلى أن: "المكان لا يوجد في حالة طبيعية أو بدئية نقية، حيث تبرز صعوبات التفكير (الفلسفي) في موضوع البدايات. إن فكرة المكان الذي يكون فارغاً في البداية، ثم يُملأ بحياة اجتماعية، ويُعدّل بناءً عليها، تعتمد على ذلك 'الأولي' البدئي، المفترض، الذي يُعرّف على أنه 'طبيعة'، وكنقطة 'الصفّر' للواقع الإنساني. ذلك أن الفضاء الفارغ، بمعنى الفراغ العقلي والاجتماعي الذي يسرّهُ التنشئة الاجتماعية لعالم غير اجتماعي بعد، هو في الواقع مجرد تمثيل للمكان. يُنظر إلى المكان باعتباره ممكن التحوّل إلى 'تجربة معيشية' من قِبَل 'موضوع' اجتماعي، ويخضع لمحدّدات قد تكون عملياتية في طابعها (مثل العمل واللعب) أو بيولوجية اجتماعية الشباب والأطفال والنساء والأشخاص النشطين." ¹⁷ وفي سياق حديثه عن إنتاج المكان، يقول لوفيفر إن المكان له ثلاثة أبعاد تربطها علاقات دياكتيكية، ¹⁸ ثم يقدّم "ثلاثية مفاهيمية"، كالتالي: (1) الممارسة المكانية/ المكان المُدرَك: Spatial

Representation- Conceived Space، (2) وتمثّلات الفضاء/ الفضاء المتصوّر: Practice - Perceived Space، (3) وفضاءات التمثيل/ الفضاء المعاش: of Space،¹⁹

هذا، ويميّز ميشال دو سارتو، بين "المكان/ الفضاء" و"الموقع"، فيقول: "الموقع نظام، أيّاً كان، تتوزّع فيه العناصر في علاقات التواجد، فلا يمكن لشيئين أن يتواجدا في المحلّ نفسه. أما المكان، فهو نقطة تقاطع بين أشياء متحرّكة، ويحيا بموجب الحركات التي تنتشر فيه. المكان هو ما تنتجه وتوجّهه وتضفي عليه الظرف والزمان وتحمله على الاشتغال كوحدة متعدّدة البرامج والمتصارعة، أو المتجاورات المتعاقدة،" ليخلص إلى اختصار الأمر بالقول: "المكان هو موقع يُمارَس".²⁰

يعتبر البيت، بتعدّد مسمّياته ودلالاته واستخداماته اليومية، أحد أقدم أشكال العمارة الإنسانية الذي تتحوّل العمارة فيه من كونها مكاناً مادياً physical space يُدرك حسياً، إلى ما يسمى بالفضاء الاجتماعي social space²¹ من خلال الوجود الإنساني. يقدم غاستون باشلار في كتابه **جماليّات المكان** نصّاً شيقاً ومطوّلاً حول البيت، حيث يقول: "إن البيت جسد وروح وهو عالم الإنسان الأول"، وإنه المكان الذي يحوي الوي واللاوي، والأحلام والذكريات والتصورات.²² ويشرح المعماري الألماني كريستوفر ألكسندر في كتابه **إنتاج المنازل** فكرة المنزل وطبيعته حيث يقول: "إن المعنى الحقيقي للجمال، فكرة المنزل كمكان يعبر عن حياة الإنسان، هي بشكل مباشر وبسيط، العلاقة بين حيويّة الناس وشكل منزلهم، العلاقة بين قوّة الحركة الاجتماعية وجمال وحيويّة المكان الذي يعيش فيه الناس".²³

إستراتيجيات الهندسة الاستعمارية

يصف إدوارد سعيد "الغريبين الليبراليين" بأنهم "حماة الصهيونية"،²⁴ وهو ما يحيلنا إلى حقيقة أن المنظومة الأيديولوجية والاستعمارية الصهيونية، بنيويّاً، تنتمي إلى تاريخ الاحتلال الاستعماري والإمبريالي الطويل "للحداثة". في كتابها **هل يستطيع التابع أن يتكلّم** تقول غياتري سديفاك: "لا أرى بأن السؤال 'بالنسبة إلى النازحين والمشردين الفلسطينيين' المعتدى عليهم عسكرياً وثقافياً... مثل ذلك الذي يطرحه فوكو 'للانخراط في السياسة... هو محاولة بأكبر قدر من الصدق لمعرفة ما إذا كانت الثورة مرغوبة' هو ترف أحق للثروة الغربية. أرى، خلافاً لذلك، أن ادّعاء تبني نسخة مستقلّة من الغرب هو تجاهل إنتاجها من قبل المشروع الإمبريالي".²⁵ ويعتبر أشيل مبيمي أن "الشكل الأكثر اكتمالاً للاحتلال الاستعماري، الحدائي، هو 'سياسات الموت'"²⁶ في الاحتلال الاستعماري في فلسطين، وذلك لدمجه بين: المراقبة، والسياسات الحياتية، الحيوية،²⁷ وسياسات الموت.²⁸ وانطلاقاً من اعتبار "السيادة" هي "سلطة تقرير من يحيا ومن يموت"، فقد فرض الاحتلال الاستعماري على الأرض الفلسطينية المحتلة "حالة استثناء"²⁹ غدت دائمة، لتحويلها إلى "أمكنة معلّقة"³⁰ و"معسكرات اعتقال" حيث تكون فيها الحياة على حافة الموت.³¹

يقول مبيمي: "المكان هو المادة الأُولية للسيادة وللغف الذي تحمله معها،"³² فيما يشير التاريخ الاستعماري إلى أن "الهندسة/ العمارة" قد وُظِّفت كأداة استعمارية، وصلت في كثير من الأحيان حدَّ "التوحُّش"³³ وحدَّ "الإبادة".³⁴ ولذلك، يستعبر مبيمي "الوحشية" من الهندسة التي تضع توزيعاً لعامل القوة بين أعمال التدمير والبناء.³⁵ هذا، ويتمُّ إنتاج المكان في الأيديولوجيا والمنظومة الاستعمارية الصهيونية، ضمن ثلاثية: الضبط والرقابة والهندسة، وهو ما يوجب السيطرة عليه.³⁶

يصف إيلان بايه التقسيم الاستعماري فيقول: "إن للسجن نموذجان، الأول هو السجن المفتوح، والثاني هو سجن شديد الحراسة، مع عدم وجود أيِّ حقوق للنزلاء وعقاب جماعي مستمرّ، حتى يقبل المجتمع نموذج السجن المفتوح."³⁷ ولذا فقد اخترقت الهندسة الاستعمارية المكان والجسد، والذات، عبر العديد من الإستراتيجيات، منها: هندسة "البانوبتيكون".³⁸ ففي المعتقل، ترأَّب أنفاس الفلسطيني وتضبط. أما في السجن المفتوح، فتلاحقه منظومة مراقبة جبروتية، مسيطرة على: قواعد البيانات، من شهادة الولادة إلى شهادة الوفاة، ونظام تصاريح واسع ومتعدّد للحظر والإباحة، والمعابر والحواجز العسكرية لتسيطر بصرياً من خلال الجنود والأبراج والكاميرات وتفتت المكان عبر تقييد حرية التنقُّل والمرور ومنع السفر إلى جانب استخدام شتَّى وسائل الاحتلال المحمولة جواً، كالمراقبة الدائمة بالطيران المسيَّر أو المسلَّح للاستهداف والاختيال، إلى جانب تكنولوجيا التنصُّت والتجسس.



مرئية رقم (2): نموذج عن هندسة البانوبتيكون: قرية النعمان، شرق بيت لحم، أرشيف الباحث، 2026

في فضاء هذه الهندسة، يكون الفلسطيني موضوعاً، جسداً، للسيطرة أو الإماتة، وتكون الهندسة، في الوقت ذاته، مكاناً، منظوراً إليه من قبل الفلسطيني. هكذا يتمُّ إنتاج المكان الخاص الاستعماري، والعمل على تحقيق الضبط، وتكريس المراقبة المُركَّبة. في هذا الفضاء أيضاً، تتمركز البيوت الفلسطينية، وتصبح هذه المشاهد، إطلالة البيت وسكنيه.



مرئية رقم (3): الجدار الفاصل، شمال مدينة بيت لحم، مواقع إلكترونية،³⁹ 2026

في كتاب **معدّبو الأرض** يشير فرانز فانون إلى أن العالم الاستعماري الذي يسوده النظام الاستعماري هو عالم مقسّم: فهناك مدن للسكان الأصليين ومدن للأوروبيين، وهذا التقسيم، على المستوى المادي/ اللامادي يولد صراعاً وجودياً وصفرياً بين تلك الأمكنة أو الأقسام أو المناطق، ولا يزول إلا بالعنف.⁴⁰ وفي هذا السياق، يقول الأنثروبولوجي الأمريكي جيمس سكوت: "أفكر في البناء العسكري في 'إسرائيل' وفي الضفة الغربية كنوع من الحدائة الفائقة المُعسّرة، التي يُعنى منها بالطبع فصل منطقة عن أخرى، وسكان عن سكان آخرين."⁴¹ وقد تبنّت سياسات السيطرة الاستراتيجية تقسيم المكان، حيث تمّ تفتيت المكان وفق مبدأ الحظر أمام العمارة الفلسطينية، والسيطرة البصرية والمكانية للعمارة الاستعمارية.

يُفكّك المعماري إيال وايمان في كتابه **أرض جوفاء: الهندسة المعمارية للاحتلال الإسرائيلي** "هندسة الاحتلال الاستعمارية عبر رصد الاستراتيجيات التالية: تحجير—إكساء، تلبيس—مدينة القدس بالحجر المحلي، ومعمار التخوم والعمارة البصرية التي طبّقت في المستوطنات، وهندسة التحصينات ونقاط التفتيش والجدار، والحرب المدنية وتحرير العمارة بإخلاء المستوطنات. هكذا، أصبحت أرض، المستوطنات، أرضاً علياً ترتبط معاً بطرق سريعة متطوّرة، وهي مخصّصة لاستخدام قاطنيها فقط، في مقابل أرض أخرى، هي المدن الفلسطينية المزدحمة، والقرى والبلدات القابعة في الوديان أسفل التلال، والمقيّدة بطرق مواصلات واهنة تتمثّل بأنفاق بدائية."⁴²

لقد جرى تفتيت الأرض المحتلة بتقسيمها إلى مناطق A, B, C،⁴³ وإقامة مناطق حدودية، وعسكرية، وحواجز، وبناء الجدار الفاصل، وشق الشوارع الالتفافية، وهندسة الأنفاق والجسور (فوق للمستعمر وتحت للمستعمر)، وبناء

المستوطنات، ووضع البوابات الحديدية على مداخل المدن والبلدات والقرى. صُممت ثنائية "دولة إسرائيل" مقابل "شتاحيم"، أي "المناطق"، لوصف الضفة الغربية وقطاع غزة كأمكنة "مغايرة"⁴⁴ يجب نبذها، ويجب طرد سكّانها، الأجساد، الحمقى/ المجانين في السفينة.⁴⁵ وقفت المدن والبلدات الفلسطينية داخل "المناطق" مقابل "المستوطنات العصرية" للمستعمر، كما تمّ تقسيم أمكنة المستعمر داخلياً، فاعتُبر المخيم، على سبيل المثال، "مكاناً مغايراً، شريراً، ومنبوذاً، ومهّمّشاً" من قِبل المُستعمر. هذا إلى جانب تشظية المكان، حيث جرى العمل على تفتيت الخيال وتمثّل الفلسطيني لحياته ولوطنه. في كتاب **عمارة المقاومة** تقول المعمارية يارا الشريف: "بينما كنت أحاول تشكيل هويّتي كمهندسة معمارية فلسطينية، في مواجهتي للمشروع الإسرائيلي' للتمهيش، كنت أدرك أن تأثير السياسات الإسرائيلية لتشدّد المنطقة الحدودية لا يُؤدّي فقط إلى تجزئة وتدمير الفضاء المادي، بل يهدف أيضاً إلى تدمير فضاء الخيال."⁴⁶

عمارة البيت بين إستراتيجيات السيطرة وتكتيكات المقاومة

توظّف هذه الدراسة مفهومي "الإستراتيجية والتكتيك" مستندةً إلى مقاربة ميشال دو سارتو للتدليل على مركزية الصراع، إذ يُعرّف دو سارتو الإستراتيجية بالقول: "أسْمِي إستراتيجية حساب العلاقات في القوة الذي يصبح ممكناً عندما تُعزل ذات لها الإرادة والسلطة." وبالنظر إلى الإستراتيجيات كأفعال تحصر ملكية مكان خاصّ، تسيطر بصرياً بدعم المعرفة، وتراهن على علاقات المكان. أما التكتيك فيقول دو سارتو عنه "أسْمِي تكتيكية الفعل المعدود الذي يحدّده غياب الخاصّ"، حيث إن التكتيكات هي إجراءات يكمن استحقاقها في الأهمية التي توليها للزمن، أي للظروف التي تحوّلها لحظة التدخّل إلى وضعية مؤاتية. تراهن الإستراتيجيات على إنشاء المكان الخاصّ لتلاشي الزمن، بينما تراهن التكتيكات على الاستعمال البارع للزمن، وهي "حركة داخل مجال الرؤية للعدو، تتبني فنّ الضعيف 'الحيلة'. تستند الإستراتيجية إلى المكان الخاصّ، وتستند التكتيكات إلى اللامكان. تعتمد الإستراتيجية على بديهية السلطة والتكتيكية على غياب السلطة."⁴⁷

يُسيطر على المكان الفلسطيني بمراقبة "جبروتية"، وتتم إعادة إنتاجه، وهذا: "إستراتيجية"، ويكون الإصرار على الحركة، بوصفها فعلاً يتمّ خلال الزمان، أي: "تكتيك". تسيطر المراقبة المعمّمة على المكان، ويكون الخضوع، اللحظي، من تكتيكات التحايل للتمرد لاحقاً. يقول دو سارتو: "صحيح أن تربع 'المراقبة' ينتشر ويتحدّد، لكن من الأولى والعاجل الكشف عن كيف أن المجتمع برمّته، لا يُختزل إلى هذا التربع؛ ما هي الإجراءات الشعبية (هي الأخرى 'مصعّرة' ويومية) التي تتصرّف بآليات الانضباط والتي لا تخضع إليها سوى لقلبها."⁴⁸ يعتبر دو سارتو أن هنالك جملة من الإجراءات المتعدّدة الأشكال والمقاومة، والماهرة، والعنيدة التي تفلت من الانضباط، الذي طرحه فوكو، والتي تتوالد من الممارسات اليومية والمكان المعاش والألفة المقلقة للمدينة، ومن ذلك فعل "التسكّع/ المشي" وفن إزاحة المسارات،⁴⁹ كفكرة وممارسة نقیضة لفكرة رقابة "البانوبتيكون".

عمارة المستوطنات وإنتاج المكان الاستعماري

يدعو المعمارى الفرنسى لو كوربوزيه فى كتابه نحو عمارة جديدة إلى ترك المفاهيم الصارمة والمتسرعة حول شكل البيت ووظيفته، كمسكن، والنظر من زاوية نقدية وموضوعية، الأمر الذى سيؤدى إلى الوقوف أمام "البيت الآلة"، وهو البيت المنتج صناعياً بالطرق الحديثة وبشكل واسع. ولذلك، سيكون هذا البيت الحديث، متاحاً أمام الجميع، وهو أفضل من البيت القديم صحياً وأخلاقياً، وهو جميل بنفس الطريقة التى نرى فيها جمالية أدواتنا الأخرى.⁵⁰ يشير طرح لو كوربوزيه إلى تصوّر حدائى للبيت، وظيفي وأدائى بحت، الأمر الذى لا تشدُّ عنه عمارة بيت المستوطنات الاستعمارية، فهى "منتج صناعى على مستوى واسع"، وتؤدّي دوراً وظيفياً، على صعيد الدور الأمنى لبيوت المستوطنة، وإنتاج المكان، على الرغم مما تختلسه من جماليات عمارة البلاد، كاستخدام حجر فلسطين، وطرق تشطيبه التقليدية فى البناء.



مرئية رقم (4): جبل أبو غنيم ومستوطنة "هار حوما"، أفاق البيئة والتنمية،⁵¹ 1997-2007

تُقَدِّم صورة جبل أبو غنيم، الواقع بين مدينة القدس ومدينة بيت لحم، صورة حيّة عن عملية إنتاج المكان الخاص الاستعماري. فقد تمّ الاستيلاء على الجبل فى أواخر التسعينيات، وتم إقامة أحد أكبر مستوطنات القدس عليه، مستوطنة "هار حوما". تُقَدِّم هذه المستوطنة نموذجاً لأساليب هندسة العمارة الاستعمارية، مثل العمارة الفوقية والسيطرة البصرية، بموازاة نموذج حدائى مجرّد، لعمارة البيت الاستعماري، الذى يواجه العمارة الفلسطينية مكانياً وبصرياً.



مرئية رقم (5): جبل أبو غنيم بعد اكتمال بناء مستوطنة "هار حوما"، أرشيف الباحث، 2026

وفي هذا السياق، يقول وايزمان إن "إسرائيل" اعتمدت في المستوطنات عمارةً مختلفة عن عمارة الفلسطينيين، حيث جلبت عمارة حديثة غريبة عن البلاد تاريخياً وبيئياً. فمثلاً، تتميز بيوت المستوطنات "بأسطح القرميد كلمسة جمالية وحاجة أمنية، كي يستطيع سلاح الجو وجنود المشاة تمييز العدو من الصديق."⁵² ناهيك عن العمارة البصرية، وفق وايزمان، التي تمنح مدى وأفق رؤيةً واسعاً من داخل بيوت المستوطنة ليرصد المستوطنون بأعينهم كل حركة للفلسطينيين. كما تُبنى المستوطنات غالباً "كأرض عليا" في مواجهة المدن والبلدات والقرى الفلسطينية. لقد تمّ تحويل "الحجر" من مادة بناء إلى مادة "إكساء"، فوطّف كركيزة لرؤية الاحتلال الاستعمارية المتعلقة بمعمارية المستوطنات أو مدينة القدس تحت مسمى سياسة: "تججير مدينة القدس" بعد احتلال سنة 1967. كما تمّت "سرقة" حجر البيت الفلسطيني القديم لبناء بيوت المستوطنات، والقيام بعمليات "تعتيق" لحجر البناء، واستجلاب أشجار الزيتون المُعمّرة وزراعتها في المستوطنات لاختلاق فضاءات وإنتاج أمكنة ذات هوية وعمق تاريخي.

من ناحية أخرى، يمكن ملاحظة "شظايا"، من وجهة نظرة لو كوربوزيه، للبيت في نمط عمارة "الممكن والمتاح" حيث ينتشر "تصميم البيت" على نطاق واسع، ويتراجع الجمالي، مقارنةً بالتراثي، لصالح الوظيفي، ناهيك عن أن البيت الفلسطيني، يستنسخ بعضاً من عمارة بيت المستوطنات الاستعمارية الحديثة، حيث جلب العمال الفلسطينيون، في قطاع البناء لدى المستعمر، الكثير من عناصر عمارته -الحداثيّة الاستعمارية- وقاموا بتنفيذ ما هو: "ممكّن ومتاح" منها في عمارة بيوتهم.

لقد اعتمد الاحتلال الاستعماري عدّة استراتيجيات ضدّ عمارة البيت الفلسطيني ترتكز على: المنع والتدمير المخطّط، والتدمير الذكي، وفنّ التدمير، والتصميم بواسطة الهدم كما حدث بعد نكبة سنة 1948 بتدمير وهدم مئات القرى والبلدات والأحياء الفلسطينية، أو كما جرى في حيّ المغاربة وغزة في سنة 1971،⁵³ وأخيراً كما حدث في غزة ومخيمات شمال الضفة الغربية منذ تشرين الأول 2023. وبموازاة تقسيم المكان، اعتمدت "إسرائيل" سياسة منع البناء، وذلك للسيطرة على الأرض، ومراقبة الإنسان الفلسطيني ومحاصرته كوسيلة عقابية، حيث

يسمح بالبناء، كحالات فردية، بعد الحصول على "ترخيص"، وهو أمر أشبه بالمستحيل.⁵⁴ كما جرى اعتماد سياسة هدم البيوت الفلسطينية بذريعة عدم وجود ترخيص أو بسبب "الخلفية الأمنية"، العقابية، المزعومة أو الفعلية ضدَّ الفلسطيني الذي يرغب في البناء، وذلك بغية إماتة المكان، وما يرتبط به من تمثّلات اجتماعية.

ثالثاً: العمارة الفلسطينية من التراثي إلى المعاصر عمارة البيت في بيت لحم

تتميّز العمارة الفلسطينية باحتوائها على: عمارة تاريخية ذات قيمة ثقافية وتراثية، وعمارة تقليدية، وعمارة محلية، وعمارة عامية (طيف واسع كالعفوية والشعبية والعمارة بلا معماريين)، وعمارة حديثة. فيما يلحظ اليوم، أن العمارة الفلسطينية المعاصرة هي عبارة عن مزج وتناصّ يضم أنماطاً وطرزاً معمارية متنوعة. فقد تعدّدت أنماط وطرز عمارة "البيت" في مدينة بيت لحم منذ أواخر القرن التاسع عشر، وأهمها: المباني البسيطة، والمباني الطولية، والأحواش، والمباني المنتظمة، والمباني التي تجمع بين الأحواش والمباني المنتظمة، والقصور والمباني الكبيرة.⁵⁵ تركّز هذه الدراسة على عمارة: القصور، والبيوت الكبيرة، والبيوت البسيطة،⁵⁶ وذلك لكونها تعكس المكانة والموقع الطبقي لأهم طبقات وفئات المجتمع الفلسطيني. اتّسمت القصور بالتصميم الحديث والفخامة، والمساحات الكبيرة، والانفتاح على الفضاء الخارجي، كما احتوت على الإيوان والفناء والرواق. وعلى سبيل المثال، نفاقرن هنا، بين "قصر جاسر"، الذي شُيّد في العام 1910 في بيت لحم، كنموذج مزج التاريخي والتراثي بالحديث، وقصور "آل عبد الهادي" في عرّابة—جنين، التي شُيّدت أوائل القرن التاسع عشر، والتي تمثّل العمارة التاريخية في فلسطين، ونعني تحديداً المزيج المعماري المملوكي والعثماني للعمارة في فلسطين.



مرئية رقم (6): قصر جاسر وقصر شهوان: الجزيرة وإرم نيوز، 2017⁵⁷

أما البيت الكبير، فمثاله البيت الحديث في المدن، المكوّن من أكثر من طابق، ولا يحتوي على الحوش أو الفناء أو الرّواق غالباً، أي نظام الفيلا. وهناك بيت العمارة التراثي التقليدي الذي يحتوي على حوش أو فناء أو رواق، وأكثر من طابق، في المدن ولدى وجهاء الأرياف. وهناك بيت المدينة الحديث، الذي اتّخذ طابعاً تجارياً،

حيث كان الطابق الأول مكوّن من محالّ تجارية تعلوه طوابق بشقق سكنية. وأخيراً؛ هناك طراز البيت البسيط، والذي يتميّز بكونه حيزاً ضيقاً من حيث مساحته، ومنغلقاً على ذاته، لكنه منفتح على حيزٍ محيطه الخاص بفعل الضرورة، وهو بيت تراثي، محليّ العمارة.



مرئية رقم (7): البيت البسيط غرفة واحدة، والبيت المستطيل، والحوش عدة غرف، أرشيف الباحث، 2022



مرئية رقم (8): بيت عقد المصلب، القبة من الداخل، أرشيف الباحث، 2022

وقد اعتمدت عمارة البيت، خاصة في المدينة، على خرائط ومخططات "المعمار/ المهندس"، التي قدّمت عمارة معاصرة هجينة. أما في الريف والمخيمات، فتّم وبشكل واسع الاعتماد على خرائط أصحاب البيت، وخبرات "البناء/ الحرفي". ووظفت العمارة مواد وتقنيات حديثة كالخرسانة والحديد والطوب والأسقف المسطّحة، إلى جانب اعتماد عملية البناء، قدر الإمكان، على طرق ومواد محلية، مثل: الحجر المحلّي والبلاط والنجارة والحدادة "البلدية" وتقنيات البناء الهجينة (الحديثة والتقليدية). أما في مخيمات اللاجئين، فقد تميّزت عمارة المساكن بالتلقائية والعشوائية المنظمة، وذلك بحكم غياب التخطيط الحضري، كعمارة مؤقتة لحين العودة.

عمارة المقاومة

بدأ تداول مصطلح عمارة المقاومة خلال القرن الماضي مع تبلور تيار "العمارة النقدية الإقليمية" في مواجهة العمارة الحدائرية المعولّمة. وفي هذا السياق، قدّم المعماري الفرنسي كنيث فرامبتون رؤيته لماهية وأهمية "العمارة النقدية الإقليمية" باعتبارها عمارة محلّية كثيفة ثقافياً و"حساسة" للإقليم، تقاوم عولمة العمارة الحدائرية، القائمة على التكنولوجيا، والطغيان اللامكاني، ونزعة العالمية المجردة، وتسليع العمارة بشكل بحت.⁵⁸ هذا، وتشكّل رؤية فرامبتون النقدية خلفية لتحليل نمط العمارة الفلسطيني المقاوم. أما عالية سامح عكاشة،⁵⁹ فتقول في كتابها **عمارة المقاومة**: "فكرنا بطرح مصطلح 'عمارة المقاومة' وضّمه إلى ثقافة المقاومة. لم نقصد بها العمارة التي تبنيها حركات المقاومة السياسية، فحسب، بل العمارة التي تقاوم الحرب، والتي تنشئ بجهد الشعوب نمطاً معمارياً مقاوماً للدمار، فهي العمارة المقاومة، عمارة مقاومة الشعب للحروب والدمار."⁶⁰

ولذا، فقد شكّلت عمارة المقاومة في فلسطين جزءاً مهماً من "ثقافة المقاومة الشعبية".⁶¹ خلال قرن وأكثر، كانت العمارة هي فضاءات وأمكنة ممارسة أفعال، وخطاب المقاومة الشعبية في البلدات القديمة، وأزقة المخيمات، وتلال وأودية الأرياف في انتفاضة الحجارة في العام 1987. لقد استغلّ الاحتفاظ كوسيلة للتموه، وضيق الأزقة للكرّ والفرّ، واتّسع الريف للاختباء والاختفاء، والجدران استخدمت كمنصّات تلقى عليها الخطابات، وتكتّب عليها الشعارات و"الجرافيتي". وتّم إنتاج المكان أيضاً، فحين تُغلق الحواجز العسكرية، تُتخذ وتُشقّ طرق أخرى، وحين تُحاصر المدن والقرى والمخيمات، يتسلّل الناس سيراً على الأقدام، أو من بيت إلى آخر. يُمنع البناء، فيقسم البيت ليضمّ أسرةً أخرى جديدة. وقد اعتمدت عمارة المقاومة أنماط بناء غير مكلفة، أي عمارة عامية، في حال كان خطر الهدم للبيت عالياً، وتّم شقّ الشوارع الترابية من قبل الناس.

على هذا النحو، تمّ تحرير جزء كبير من العمارة من سيطرة الهندسة الاستعمارية. فمثلاً، حرّر فعل "التسكع"⁶² فضاءات المدينة، وتحوّل من فعل يثير الريبة، أو من كونه عيباً وخروجاً عن الأعراف- في التمثّلات الاجتماعية المحافظة، كفعل عبثي، أو تحرش بالنساء والشابات، أو مغازلتهن- إلى فعل "مسكوت عنه"، وفعل مقاوم! في مدينة بيت لحم، كان الشبان يتسكعون، أي يمشون، لساعات ذهاباً وإياباً في الشارع الممتدّ بين ساحة باب الدير، ساحة كنيسة المهدي، وباب الرقاق،⁶³ وذلك لاقتناص فرصة استهداف مركز شرطة الاحتلال ودوريات جنوده بالحجارة أو الزجاجات الحارقة.



مرئية رقم (9): بيت مههد بالمصادرة في مدينة الخليل، تُظهر الصورة "مواجهة الأعلام"، من أرشيف الباحث، 2017

في ذلك الفضاء المقاوم، كان البيت، ومنه بيت الممكن والمتاح، أحد أهم أمكنة المقاومة الشعبية والمعمارية، وذلك بحكم تمرّكه في الفضاء، أو إنتاج المكان. لذلك، مثلاً، كان الإصرار على بناء البيت المههدوم مرة أخرى على الرغم من توقُّع نفس النتيجة! ويكون الحرص على المشاركة عبر فعل "العونة" في بناء البيت فعلاً تكافلياً مقاوماً، ما يحوّل البيت الفضاء (الأرض/ الفراغ) إلى مكان، يهندسه للعيش أو للاختفاء، والكُرّ والفرّ، ومواجهة الاعتقال أو الاشتباك المباشر، و"حاضنة الديمغرافيا" وتجسيد المكان الفلسطيني في وجه الهندسة الاستعمارية. "فلا أسرة وأطفال بلا بيت، ولا استقرار بلا بيت، ولا وطن بلا بيت." وهنا تجدر الإشارة إلى أن كلمة "دار فلان"، بالاستخدام المتداول، بيت فلان أو عائلة فلان وعلى المستمع أن يميّز الفرق من السياق. هذا الدمج، بين الدار كعمارة أو بيت والدار كأهل البيت وسكانه، يحيل إلى ذلك الربط الجدلي بين البيت/المكان/ والسكان/ والأجساد/ والذوات.

عمارة بيت "الممكن والمتاح"

ظهر بيت الممكن والمتاح عبر مزج وتناصّ معماري، مع أو دون معماريين، فيما تميّزت هذه العمارة بكونها عمارة غير مكتملة ومكرّرة التصميم. كما يميّز هذا النمط بتراجع الجمالية فيه، مقارنة بالتراثي، لكنه يستعيز عن ذلك بالرموز والعلامات الهويّاتية والتراثية. وهو بيت يتمتّع بدرجة جيدة من كفاءة المتانة والمنفعة مقارنة بالبيوت التقليدية القديمة. في معرض حديثه عن العمارة المحليّة، يقول المعماري الفلسطيني إلياس خوري: "ترتكز العمارة المحليّة على التكرار، فالأبنية المحليّة لعمارة ما تكون متشابهة، إذ كان كلُّ شخص يقوم ببناء منزل يشبه منزل جاره دون محاولة عمل منتج غريب من ناحية الشكل، فهما يعتمدان على نفس الخبرات في البناء."⁶⁴

بالعودة إلى تعريف مفهوم نمط عمارة "بيت الممكن والمتاح"، فإن أول محدّد له هو نمط وطراز العمارة. ففي حال كان نمط العمارة هجيناً، تظهره عمارة البيت، ستحدّد عملية الحفر في "السيرة الذاتية" للبيت إن كان يندرج تحت نمط عمارة "بيت الممكن والمتاح" أم لا، وذلك بالإجابة على الأسئلة المتعلقة بالممكن والمتاح حول: تاريخ البدء في البناء، وتاريخ إتمامه، ومتى سُكن، وظروف مالكة المالية وقدراته اللوجستية خلال البناء، ومواد البناء، وكيفية تنفيذ البناء ومن نفّذه، وهل بُني على مراحل، وهل ما زالت عمارته منقوصة، وهل مواد البناء محلية، وما مستوى جودتها، وهل اعتمد على نظام العونة... إلى آخره. كما يُفحص إن كان البيت قد واجه استراتيجيات الهندسة الاستعمارية في الماضي أو في الحاضر، نحو: منع البناء، أو الهدم، أو الغرامات، أو الحصار، أو تصنيفات المكان، أو منع البنى التحتية... إلى آخره. ويُفحص الفضاء المحيط بالبيت إن كان يضمّ آليات الضبط والمراقبة: تخوم الأمكنة A,B,C، ومناطق منع البناء، والحواجز، والمستوطنات، والطرق الالتفافية... إلى آخره. وبالإجابة على تلك التساؤلات، سيتقرّر إن كان البيت يندرج تحت نمط عمارة "بيت الممكن والمتاح المقاوم" أم لا.

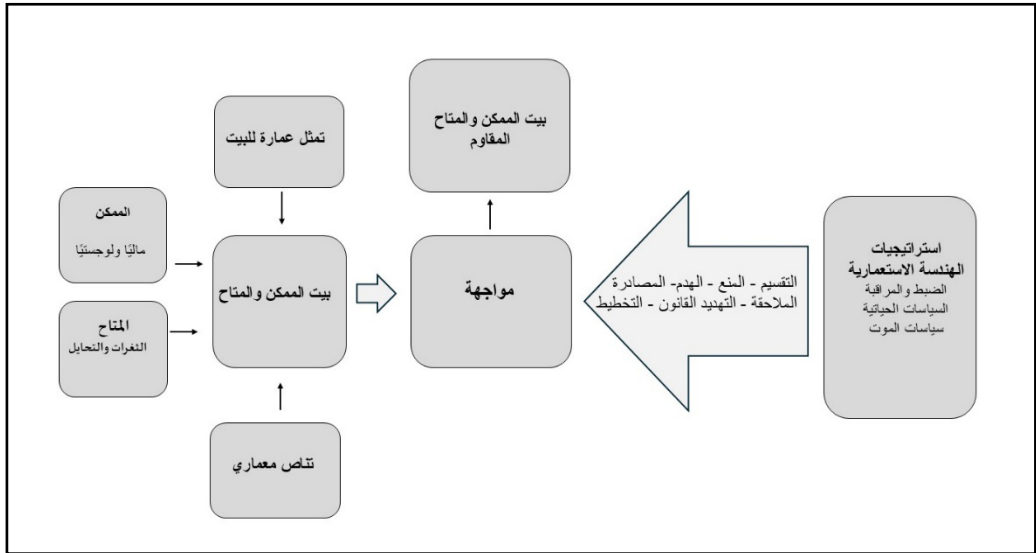
وفي موازاة ذلك، ستوضّح "سيرة البيت الذاتية" إن كان سكّانه هدفاً للملاحقة، مثل: الاقترحات، والاعتقالات، والخطر، والنبذ. أما أشكال العمارة الأخرى للبيوت وغيرها، فيمكن وصفها بعمارة مقاومة إن استندت على ثلاثية فيتيربوس، وتواجه استراتيجيات الهندسة الاستعمارية. فيمكن، مثلاً، اعتبار "قصر" أو "بيت فاخر" يواجه مستوطنة ما، بصرياً أو مكانياً، ضمن عمارة المقاومة.

في حال انطباق الوصف على البيت، سنجد أن هذا البيت بُني بتكتيكات عديدة، فكان التحايل، بالالتزام بالشروط الاستعمارية، من متطلّبات ما يسمّى "الترخيص"، وشروط أماكن البناء وفق المخطّطات الهيكلية، أو في محاولة الإفلات، عبر الثغرات والرهان على الزمن. في هكذا حالات يتمّ بناء البيت ببطء، أو على أجزاء، بمواد وأساليب غير مكلفة (عمارة عامية) "لجسّ نبض" الجهات الاستعمارية المختصة، حيث يكون البيت بلا سقف خرساني، كتحايل قانوني، أو باللجوء إلى عمارة بديلة (غير مرئية) أو (تحت أرضية) كببت الكهوف والآبار. وفي حالات أخرى، ولتفادي صدور أمر منع إكمال البناء أو الهدم سريعاً، كان بناء البيت يتمّ بشكل متواصل، ليلاً ونهاراً، من طوب وخرسانة، لتسريع عملية إتمام بناء العقد (السقف). فالعقد هو الطفرة التي تحوّل الأساسات والجدران، أو حتى الأعمدة الخرسانية، إلى بيت. وحتى إذا أتمّ العقد، وصدر أمر منع البناء أو الهدم، كان يتمّ البحث عن المساعدة القانونية والدخول في أروقة المحاكم، وتأجيل الهدم لفترة ليست بالقصيرة.

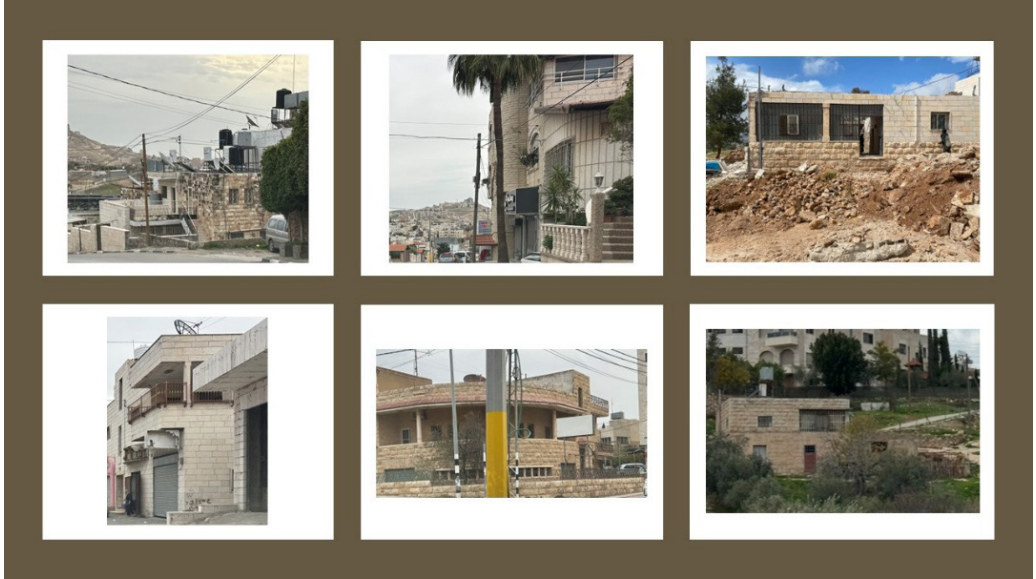
يُلمس في نمط هذا البيت تراجع هندسة فضاءات البيت المنغلق ليصبح منفتحاً على الخارج. كما ساهم استقلال البيت، سواء الشقة أو البيت، المستقل في تفكيك المكان البطريكي ليزيد من استقلالية الأسرة النووية على نحو ما. وقد هذا انعكس على وضع المرأة بشكل إيجابي. وعلى الرغم من التغييرات الكبيرة سألقة الذكر، فقد تميّزت عمارة البيت بكونها عمارة "بينية" اجتماعياً، بحكم كونها هجينة. فمثلاً، ظلّ فضاء البيت الداخلي مقسماً بين الخاص والعام، وأمكنة للرجال وأمكنة للنساء، وفق التقسيم التقليدي غالباً (حيث ظلّت العلاقات الاجتماعية،

القرابة، تحدّد الحيّز المباح لأيّ شخص يدخل للبيت)، وهو: الصالون/ الصالة؛ الباب الرئيسي للرجال/ الباب الآخر، الخلفي أو الجانبي، للنساء؛ المطبخ المنفصل عن الفضاء العام للبيت، الشرفة، مكان خاصّ خفيّ، لاحقاً ستدخل تصاميم للمطبخ المتفتّح على فضاء البيت؛ الصالون، الصالة، المطبخ، الحمام؛ الشرفة "عتبة البيت" حيث لا يجب أن تفتح المرأة الباب، لسبب اجتماعي/ أمني؛ السطح فضاء منفتح على الفضاء ومستتر عن الأعين؛ فضاء البيت الخارجي، الأسوار الخرسانية والحجرية محلّ "السنسال الحجري"، جدار من حجارة غير منتظمة.

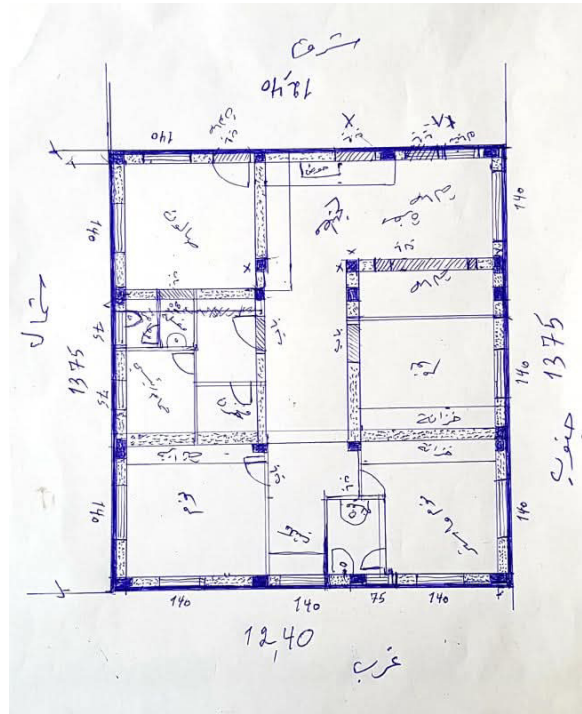
وعلى ذلك يمكن القول، بشكل نسبي يراعي الفروقات بين المدينة والريف والبادية والمخيم، إن هيمنة "عمارة الرجال" في نمط المتاح والممكن قد تراجعت، وأصبح للمرأة واحتياجاتها كربة بيت رأي مؤثّر في عمارة البيت وتقسيم فضاءاته. كما استمرت مشاركة المرأة في عملية البناء والتنفيذ، ولاحقاً شاركت في تحمّل التكاليف المالية، إذ ساهمت عمارة هذا البيت، بمعية التغيّرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في تحرير الجسد والذات، وتحرير المرأة خصوصاً في البيت، ثم التحزّر من داخل البيت المنغلق إلى خارجه، ما لبّى الكثير من احتياجات المرأة، وخفّف أعباءً قديمة كجلب الماء والحطب... وغير ذلك.



مرئية رقم (10): نمط عمارة بيت الممكن والمتاح- المقاوم، مخطّط الباحث، 2026



مرئية رقم (11): نماذج من عمارة البيت المعاصر في السبعينيات والثمانينيات، بيت لحم، أرشيف الباحث، 2025



مرئية رقم (12): مسقط لخطة بيت يدوية أعتها حرفي بناء، أرشيف الباحث، 2025

رابعاً: سيميولوجيا البيت كفضاء اجتماعي

يقول مانيلو بروزاتين: "على المعماري إقناع الملك أو المجتمع الذي يكلفه بالعمل، أنه قام بشيء مماثل، إلا أن الجديد يجب أن يكون أصيلاً وغير محاكي." ⁶⁵ فالعمارة إذن هي تمثُّل جماعي وإبداع فردي في الوقت ذاته، ذلك أن العمارة، إلى جانب كونها ظاهرة اجتماعية- ثقافية، هي أيضاً لغة تواصلية، أي أنها تتحدَّث بلسان أصحابها. تمتلك "علامات" العمارة القدرة على الإحياء المتعدّد وتوصيل المعاني. ولذلك، يمكن قراءة عمارة البيت وتفسيرها وتأويلها باعتبارها تشكُّل مشهدية أو رسالة أو نصاً أو خطاباً ⁶⁶ يمكن فكُّ شيفرته، وقراءتها بكونها بنية يمكن تفكيكها، ورصد عناصرها وعلاقاتها.

نعرض في هذا القسم نماذج لمنط عمارة بيت الممكن والمتاح في الريف والمدينة والبادية والمخيم، إلى جانب تقديم قراءة سيميولوجية لثلاثة عناصر من عمارة البيت كعلامات ورموز وهي: حجر البناء، والباب، والشرفة. لا نفترض هنا فصلاً تاماً بين البيوت في الفضاءات الأربعة، بقدر افتراضنا تقاطعات كبيرة. وعلى ذلك، تقدّم في هذا القسم أبرز ما هو ظاهر في كلِّ نموذج، وإن كان يتشارك فيه مع النماذج الأخرى، وهو ما سيفرض عدم التكرار.

عمارة البادية

يقول ابن خلدون: "قد تقدّم لنا أن عمران البادية ناقص عن عمران الحواضر والأمصار لأن الأمور الضرورية في العمران ليست كلّها موجودة لأهل البدو." ⁶⁷ وحيث إن العمارة نتاج العمران، بالمفهوم الخلدوني، تكون عمارة البدو أقلّ من عمران الحواضر لارتباطها بما هو "ضروري" في بيئتهم محدودة الموارد. وعلى الرغم من ذلك، تتعدّد تجلّيات عمارة بيت البادية، من بيت الشعر والخيمة، والكهف. وتتميّز عمارة البادية بثلاثة ملامح هي: الأول، موقع التجمُّع الذي يراعي اتّجاه حركة الشمس واتّجاه الريح، والأماكن الآمنة، ومصادر المياه، والرعي. والثاني، هو أنماط انتشار وتوزيع أماكن البيوت والماشية والمسافات بين البيوت والخصوصية وصلة القرابة وأحجام التجمُّعات. والثالث، هو وحدة السكن، وهي الخيام وبيوت الشعر، وما يحدد اتّجاه بيت الشعر "الجنوبي"، ومكان الرجال ومكان النساء فيه، وطريقة إتيان البيوت. ⁶⁸

بعد احتلال سنة 1967 للضفة الغربية وقطاع غزة، بدأ البدو بتبني نمط عمارة يتجاوز سقف "الضروري" باتجاه ما هو ممكن ومتاح. وقد كان ذلك بفعل التغيّرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ناهيك عن السياسات الاستعمارية الرامية إلى تركيز البدو في تجمُّعات محدّدة محاصرة للاستيلاء على الأرض كما هو حال بدو النقب أو تجمُّعات بدو الجهالين في الضفة. ومنذ سنوات، تمّ التخلّي تدريجياً عن بيت الشعر والخيمة، كشكل "البيت الوحيد"، والانتقال إلى بيت الغرف البسيطة من الخرسانة أو الطوب أو الصفيح، وصولاً إلى عمارة معاصرة لا تختلف عن عمارة بيوت الريف أو المدن في عدد من التجمُّعات البدوية في الضفة الغربية.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، ساهم الانتقال إلى عمارة الغرف البسيطة في عرب الرشيدة شرق بيت لحم، في تثبيت موقع التجمُّع خلال الثمانينيات، وهو ما ثبتَّ موقع القرية/ التجمُّع حالياً، والذي يتعرَّض لهجمة استعمارية شرسة، ويشهد تطور عمارة معاصرة بموازاة عمارة البادية. تستقرُّ العائلة في البيت المعاصر في قلب التجمُّع/ القرية، حيث تتوفر الخدمات من ماء وكهرباء والمدرسة وطريق الأسفلت والمواصلات بموازاة اعتمادها على عمارة "الضروري" (خيمة، أو غرف طوب، أو كهف) في الوقت ذاته أو بشكل موسمي عند الربيع، حيث المراعي في البراري.⁶⁹

قد تبدو عمارة البادية "هشَّة" في مواجهة آلة التدمير الاستعماري، أي عمارة لن تصمد أمام القوة التدميرية، إلا أنها استطاعت حماية الأرض، وتوفير متطلبات أهلها واحتياجاتهم بالاعتصار على "الضروري"، وهو حدُّ أدنى مما هو ممكن ومتاح. وقد شكَّل هذا "الضروري" مقاومة معمارية تتَّجه، بفعل العديد من العوامل، إلى عمارة أكثر تطوُّراً، من ناحية حضرية، وذلك على الرغم من أن بيت الشعر هو مظهر عمارة البدو المرتحلة التي تنتج بشكل نسبي مكاناً "مرتحلاً"، على اعتبار أن ترحال بدو فلسطين يتمُّ ضمن جغرافيا مضارب القبيلة، أو بشكل موسمي، بمعنى كونها ثابتة في فضاء مضاربها، وهي لذلك تختلف عن "العمارة المتنقِّلة".



مرثية رقم (13): عرب الرشيدة- شرق بيت لحم، فلسطين في الذاكرة، وقناة الجزيرة،⁷⁰ 2025

وبلا شك، تعتبر عمارة البادية عمارة مقاومة، وذلك لدورها في حماية فضاء الصحراء/ البراري الفلسطينية وتحويلها إلى أمكنة "ثابتة". ولهذا كانت الهجمة الشرسة التي تصاعدت منذ سنوات على التجمُّعات البدوية في الضفة الغربية، وتحديداً في مناطق C. فقد حوّلت تجمُّعات العديد من قبائل البدو غالبية مناطق C الشرقية في الضفة الغربية إلى أماكن فلسطينية. لكن التجمُّعات البدوية الفلسطينية اليوم تواجه مرحلة انتقالية مركَّبة، حيث لم يعد "الضروري" كافياً في ظلِّ تغيُّر اقتصادي واجتماعي وثقافي كبير، وإن بقيت القيم والتقاليد البدوية حاضرةً بشكل كبير، وهو ما ينطق به فضاء البيت وتقسيمه. وتخوض هذه التجمُّعات مرحلة صعبة لتواجه فيها هجمة شرسة من استراتيجيات الهندسة الاستعمارية، بجيشها ومستوطناتها، تهدف لترحيل السكان والاستيلاء على الأرض والمكان.

عمارة وبناء البيت في الريف

كان نمط عمارة "البيت البسيط" في الأرياف هو الأكثر انتشاراً بين عموم الفلاحين البسطاء، وهو بيت يتكون من غرفة "عقد" (غرفة من الحجر يعلوها سقف على شكل قبة)، أو غرفتين، أو صف من عدة غرف متجاورة. أما نخبة الوجهاء وأصحاب السلطة والإقطاع والثروة، فتراوحت بيوتهم بين القصر التاريخي والبيت الكبير وبيت الحوش التراكمي (تجمع لعدد كبير من الغرف حول حوش / فناء) بحيث يعكس هذا البيت مكانتهم الاجتماعية وحالة الثراء والنفوذ والسلطة التي يحوزونها.

بعد احتلال سنة 1967، أخذ "البيت البسيط" في الاختفاء تدريجياً ليحلَّ مكانه بيت متعدد الغرف، أو متعدد الطوابق، بمساحة أكبر وأمكنة متعددة داخله، وباستخدام مواد بناء حديثة. بُني هذا البيت في الغالب من طابق واحد أو طابقين على شكل صف من الغرف المتجاورة، بشكل طولي أو كمستطيل، وقد يستكمل البيت لينتظم على شكل مربع في مراحل لاحقة. في الحالات التي تكون فيها الأرض غير مستوية، كان يتم بناء ما يُطلق عليه "تسوية"، وهي عبارة عن جدران من الخرسانة والحجارة (الدبش) للحصول على مستوى مسطح يُسقف بالخرسانة. وقد اتسمت عملية بناء البيوت والمساكن في الريف بنمط تراكمي من حيث الزمن والمساحة، إذ تنجز عملية بناء البيت على مدار سنوات، ما جعل البيت، حتى لو سُكن، غير مكتمل في نظر أصحابه إلى حين اكتمال البناء المتصوّر، وتلبسه بالحجر.

في هذا النمط الجديد من البناء، ظهرت الحاجة إلى وجود المهندس والمخطّط الهندسي، ومع ذلك، فقد كان الحرفي/ البنا يستنسخ المخطط ذاته يدوياً في عملية بناء البيوت في الريف. كان حجر البناء في العمارة التقليدية يستخرج من نفس مكان البيت، حيث يقوم حرفي أو "حجار" بقطعه يدوياً وبمقاسات منتظمة نوعاً ما. أما في هذا النمط المعاصر، فقد صار حجر البناء يُجلب من محاجر حديثة وبعيدة حيث يُشطب في مصانع حجر وبطرق صناعية. و عوضاً عن استخراج الحجر، صارت عملية شراء تجارية تُجرى بشكل أسرع، وغالباً أقل كلفة. وأصبحت مقاييس حجر البناء وأبعاده أقل من حيث الحجم والسماكة وأكثر دقة في أبعادها، ما جعل "مدماك" البناء (أي صف الحجر) مضبوطاً بالسنتيمتر. وعلى الرغم من أن الحجر يستخرج من محاجر صناعية/ تجارية بعيدة عن المكان في الغالب، إلا أن معرفة "اسم الحجر" والمنطقة التي جُلب منها ظلّت أمراً مهماً.

خلال السبعينيات والثمانينيات، كانت عملية بناء الحجر تتم باستخدام الأسمنت والخرسانة المصنّعة يدوياً في المكان أو بواسطة استخدام خلاطة ديزل. لكن في أواخر الثمانينيات شاع استخدام "الباطون" أو الخرسانة الجاهزة من المصانع الحديثة، وذلك بغية الحصول على جودة أعلى، أو الإسراع في البناء، قبل تدخل الإدارة المدنية الإسرائيلية لوقف العمل. وقد دفعت السياسات الاستعمارية للاحتلال (من منع البناء، والاستيلاء على الأرض بشتى الوسائل) إلى تقليص المساحات التي يمكن البناء عليها مع ازدياد خطر الهدم. ولعلّ هذا كان من

ضمن العوامل التي ساهمت في تحوُّل العمارة في فلسطين من نمط البناء الأفقي إلى البناء العمودي. وإلى جانب الباطون، استُخدم الحديد في وضع الأساسات والأعمدة الخرسانية المسلَّحة والعقد المسطَّح المسلَّح بالحديد، وهو ما فرض معرفة هندسية حديثة على البنَّائين، أو اشتراط وجود معماري/ مهندس في حالات بناء البيت الكبير والأكثر تعقيداً من ناحية هندسية.

نُفِّذت عملية البناء، بالاعتماد على نظام تكافل اجتماعي معروف في الريف يُسمى "العونة". فكانت الأسرة الممتدَّة تقدِّم المساعدة في أعمال البناء، أو تحمل جزءاً من التكلفة، فتتم المساعدة من أبناء الحمولة والعشيرة والجيران وحتى من عموم أهل القرية. كانت عملية بناء البيت، وتجهيزه للسكن، تبدأ ببناء الهيكل (أو العظم) ثم التشطيب الداخلي. وكان التشطيب، غالباً، يتمُّ وفق الحدِّ المستطاع أو الأدنى من التكلفة، وذلك من أجل السكن في البيت بسرعة. وكانت عملية التشطيب تُستكمل مع توافر القدرة المالية، فمثلاً: كانت أرضية البيت تُغطَّى بالأسمنت (المَدَّة) إلى حين توفر إمكانية شراء البلاط وتشطيبه. في هذه المرحلة كذلك، كانت "العونة" حاضرة، حيث يوفِّر صاحب البيت المواد المطلوبة للتشطيب، من: أسمنت وحديد وبلاط وخشب ومواد تمديد الكهرباء والماء، ثم يقوم كلُّ حربيٍّ من الأقارب والأصدقاء بالتنفيذ. وقد تميَّز هذا النظام التكافلي، بكونه "دين يتوجَّب سداه" فالיום يقَدِّم الجميع المعونة لصاحب البيت، وغداً يتوجَّب عليه، أن يقَدِّم المعونة لهم.

توسَّع فضاء البيت الداخلي، وصار مُطلَّاً على الفضاء الخارجي، ناظراً ومنظوراً إليه، بسبب توسُّع النوافذ والأبواب وتعدُّدها، وكذلك الشرفات في البيت متعدِّد الطوابق. لقد صار البيت يحتوي مجموعة من المساحات: كالشُرْفَة الكبيرة "البرندة" والصالون والصاله والليوان وغرف النوم والمطبخ وبيت الدَّرَج والحمامات. كما أصبح الفضاء الخارجي يتمتَّع بخصوصية أكبر بعد إحاطته بالأسوار أو جدار السنسال، وكذلك أشجار السرو والصنوبر الكثيفة. في الماضي، ضمَّ فضاء البيت الخارجي الكثير من الأمكنة، كبئر الماء التقليدي المحفور تحت الأرض و"غير المرئي"⁷¹ والمرحاض الخارجي وحظائر الحيوانات والطيور الداجنة وفرن أو طابون الخبز، ومكان القمامة (المزبلة) التي تحرق فيها نفايات البيت، وحفرة امتصاص المياه العادمة. واليوم أصبح هذا البيت مستقلاً بذاته، ومنفصلاً، تسكنه عائلة نووية، على خلاف البيت البسيط أو الكبير في الماضي. غير أن البنية الأبوية تجلَّت بشكل آخر غالباً من خلال بناء بيوت الأبناء المنفصلة حول بيت الأب أو الجدِّ.

لقد وفَّر هذا النمط المعاصر من العمارة، الذي جمع بين النمط الحديث، من حيث مواد البناء وهندسة البناء، والنمط التقليدي، من حيث التصميم في الريف، وإمكانية بناء المسكن في حدود التكلفة الأقل والأسرع. إلا أن هاجس جمالية البيت الموروث بقي حاضراً، إذ تمتَّعت عمارة أيِّ بيت كان بالحدِّ الأدنى من اللمسات الجمالية والتراثية، وذلك من خلال استخدام الحجر في البناء، وشكل عمارة الأبواب، والنوافذ، والشرفات، وأشغال الحِدادة، والرجاج.

تم الحفاظ على البيوت التراثية القديمة سواء بالبناء عليها، أو إلصاق البناء الجديد بها، أو ترميمها وإدخال عناصر معمارية حديثة عليها. ولذا، يلاحظ في كثير من البيوت أن الطابق الأول بُني بعمارة تراثية تعود إلى ما قبل النكبة، فيما تميّز الطابق الثاني بعمارة حديثة تعود إلى فترة السبعينيات وما بعدها. ونظرة واحدة على أنواع الحجر المستخدم في بناء طوابق البيت وأشكاله، كافية لتحديد الحقب الزمنية وعمر البيت. كما جرت عملية سقف مساحات البيوت القديمة المفتوحة، بأسقف من القرميد أو الصفيح للتحويل على عملية منع البناء من قبل سلطات الاحتلال. أما البناء الخرساني، دون الحجر، بالاعتماد على جدران من الخرسانة أو الطوب والقصارة، وهو البناء المنتشر في المخيمات بشكل أوسع، فكان يُغطى بالألوان والأشكال الهندسية خلال أشغال القصارة لتوفير حدٍّ أدنى من الجمالية.

كانت عملية بناء البيت مصحوبة بموروث ثقافي متنوع، ومع النمط الجديد في البناء استمر الحفاظ على الكثير من الطقوس المعمارية والاجتماعية، مثل: اتّجاه البيت كأن يكون الباب جنوبياً أو شمالياً تبعاً لاعتبارات بيئية وثقافية؛ الاعتماد على نظام "العونة"؛ توزيع الحلويات أو "الحلوان" يوم بناء "القَمَط" أو الحجر العلوي للشباك أو الباب وهي مرحلة تسبق "العقد" أو سقف البيت؛ تقديم الغداء يوم إتمام عقد السقف وغالباً يجب تقديم "ذبيحة" أو "قربان" وتعليق راية بيضاء عند إتمام "صَبَّة العقد"؛ بناء الأقواس على النوافذ واستخدام الأعمدة الحجرية على الشرفات عند الاستطاعة؛ إضافة حجر النقش أو التعويذة أو "شاهد الدار" فوق الباب.

في سياق الكثير من التغيّرات الاقتصادية والاجتماعية والتأثير الاستعماري، غاب الفارق الهائل على المستوى الطبقي، ولو ظاهرياً، وتقلّص الفارق بين عمارة البيت الكبير والبسيط لصالح ظهور البيت المعاصر. استمرّ، بشكل محدود، بناء البيت الكبير "الفاخ"، من قبل الفئة المقنطرة مالياً، بالطرق الحديثة، وهو ما ساهم في شيوع تعدّد طوابق البيوت، وفخامة الحجر والزخارف العصرية، واتّساع المساحات الداخلية والخارجية، واستخدام مواد بناء أحدث، واللجوء إلى المهندسين والمعماريين بشكل كبير، وتوظيف جزء من تفاصيل العمارة الحديثة أو "الاستعمارية" التي كانت تنتقل من خلال القوة العاملة في قطاع البناء لدى الاحتلال الاستعماري.

شكّلت عمارة البيت الحديثة نقلة اجتماعية وثقافية هائلة في مجتمع الريف، فصار البيت الجديد يوفّر فضاءات وأمكنة جديدة، تمنح راحة وخصوصية كبيرة، مع تعدّد الغرف. والخصوصية هنا لا تنحصر في مفهومها الاجتماعي والثقافي، بل في توفير شرط السريّة والتكتم واللقاءات النضالية التي جعلت البيت جزءاً من عملية المقاومة بصمت. كما وفّر هذا البيت احتياجات مهمة، كالكهرباء والمياه الجارية. وقد انعكس ذلك على نمط الحياة، فصار السهر ليلاً مع الأسرة أو الحمولة، مع وجود التلفاز، أمراً سهلاً وعادياً بعد أن كانت غالبية الناس تذهب للنوم بعيد حلول الظلام. وصارت الدراسة ليلاً متاحة، كما توفّرت وسائل النظافة بشكل أكبر مع وجود الماء الجاري والساخن. ويحصر أهم خصائص عمارة بيت ريف محافظة بيت لحم، في الفترة بين الأعوام 1967 و1994، سنجد أن هذا النمط تميّز ب: البناء بشكل تراكمي "معماريًا وزمنيًا"؛ تعزيز التكافل الاجتماعي؛ المساهمة في عملية تراجع الأسرة الممتدة لصالح الأسرة النووية؛ عكس التغيير الثقافي للمجتمع الفلسطيني في تمثله الاجتماعي لماهية

البيت؛ تجسّد عمليات بناء البيوت أحد وسائل "المقاومة بالحيلة"⁷²؛ المساهمة في حماية المكان، من خلال تباعد وتناثر جسد القرى وذلك عبر توزّع البيوت على أراضي القرى والبناء على القمم وكشف الوديان والسهول والطرق؛ حماية الأرض بالتواجد فيها من خلال بناء البيوت بشكل متباعد عن مركز القرية؛ التلقائية والعشوائية المنظمة بسبب غياب التخطيط وعدم القدرة على البناء بشكل حرّ؛ تجسيد إرادة التمرد على سياسات منع البناء "دون ترخيص"؛ تباعد البيوت حيث أصبح الريف مكاناً أفضل للاختفاء واللقاءات بين المقاومين؛ المحافظة على بنية اقتصادية مقاومة غير استهلاكية أو مسرفة وباذخة؛ الحفاظ على جزء من العمارة التراثية؛ المراوحة في عمارة البيت بين كونه "بيت الممكن والمتاح" و"بيت الممكن والمتاح المقاوم" وأشكال عمارة أخرى.



مرئية رقم (14): ثلاثة أجيال من البيوت: البيت البسيط، والممكن والمتاح،
وعمارة الاكتناظ العمودية، أرشيف الباحث، 2025

عمارة وبناء البيت في المدينة

تكوّنت غالبية مدن فلسطين قبيل النكبة، من مدينة قديمة تاريخية ومدينة حديثة معاصرة، محيطة أو محاذية. وتتميز المدينة القديمة بعمارة تاريخية تراثية تعود إلى الفترة العثمانية وما قبلها، فيما تعكس المدينة الحديثة عمارة معاصرة ترتبط بالثراء والفخامة غالباً. وقد غابت عمارة القصور، بشكل عام، بعد احتلال سنة 1967، ونعني غياب بناء قصور جديدة عن عمارة المدينة، فيما تقلص نمط بناء البيت الكبير "الفاخر" لصالح البيت المستقل الأكثر عصرية وبرامغامية من حيث الاستخدام. تكوّن هذا البيت عموماً من طابق أو اثنين، بحيث تسكنه أسرة نووية، وله فضاء خارجي على شكل بستان أو حديقة. وتمتّع تصميم البيت بجماالية لافتة ولمسات حديثة واضحة، وإن لم يرغب الموروث الهويّاتي المعماري من خلال التركيز على حجر البناء وأشكاله.

استمرت عمارة البيت الكبير (التجاري) واعتمدت المدينة الناشئة على البناء العمودي بشكل أكبر من الريف،

فانتشر بناء نظام البناية (وتسمى عمارة) المكوّنة من طابقين أو ثلاثة طوابق، أو أكثر من ذلك حتى ستة طوابق، بحيث يحوي الطابق الأول مخازن لتكون محلات تجارية، إن كانت مطلة على شارع رئيسي. وقد اتسعت مساحات البيت وتعددت فضاءاته وأمكنته. كما سكنت فيه عدّة أسر نووية قد تنتمي لأسرة ممتدة واحدة. وغالباً ما كان شكّل البناء صندوقاً منتظماً مع بعض الشرفات، فيما استخدم الحجر الأبيض الأملس، أي السّادة، بشكل واسع، وتمّ البناء من قبل البناّء بإشراف مهندس معماري.

لم تغب عن عمارة البيت في المدينة حقيقة وجود الاحتلال، وهو ما أخذ في الحسبان قدر الإمكان، وذلك بتوفير وسائل وبدائل خلال أيّ طارئ. فمثلاً، كان يتمّ بناء بئر ماء من الخرسانة تحت الأرض كجزء من البناية ليكون مصدر مياه خلال الظروف الطارئة، فيما تمّ الاعتماد بشكل يومي على خزانات المياه التي توضع على سطح البناية. لم تنتشر فكرة بناء ملاجئ نظراً للتكلفة الكبيرة وعدم وجود سياسات حضرية تفرض ذلك، فيما صمّمت في الكثير من البنايات مواقف سيارات تحت الأرض. وإلى جانب كون البيت فضاءً اجتماعياً، فهو في المدينة فضاء اقتصادي أيضاً من خلال استغلال المخازن في الطابق الأول، سواء بإنشاء مشروع عائلي فيها، أو بتأجير تلك المخازن، وهو ما حصل أيضاً من خلال تأجير الشقق في البنايات المكوّنة من عدة طوابق، حيث تُسمى البنايات بأسماء ملاكها في الغالب.

لقد ساهمت جغرافيا فلسطين الضيقة، والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية، والسياسات الاستعمارية، والتزايد السكاني وتطاول البنايات وتلاصقها، والازدحام والاحتكاك في المدن، بتشكّل كتل سكانية كبيرة ووازنة في مواجهة "المستوطنات" أو كما ما تسميها عكاشة "مدن المعسكرات الحربية"⁷³ التي تحاذي أو تقابل المدن الفلسطينية. كما جعل الازدحام والاحتكاك من المدينة مكاناً ملائماً للفعل المقاوم، الكرّ والفرّ، ضدّ قوات الاحتلال في حقبة سابقة على الفترة الحالية. وقد تميّزت بيوت المدينة في الغالب بمستوى أعلى وعمارة أكثر بذخاً، وكذلك بمواجهة مخاطر أقلّ، باستثناء بيوت التخوم، فيما جلب الاحتكاك معه تغييرات عميقة، كظاهرة تريف المدينة أو تباعد العلاقات الاجتماعية بحكم استقطاب السكان من خارج بنية المدينة العائلية.

البيت في المخيم

مع احتلال سنة 1967، كان البيت في مخيم اللاجئين قد انتقل سلفاً من طور "الخيمة" إلى ما عُرف بـ"غرفة الوكالة"⁷⁴ بعد الاحتلال بدأت "غرفة الوكالة" بالاضمحلال، فظهر بيت غير منتظم الأبعاد ومتعدّد الطوابق، بُني بالطوب الأسمنتي الذي تمّ تغطيته بالقصارة (الملاط)، وقد تضاف للجدران من الخارج لمسة جمالية متواضعة من خلال عمل قشرة "شبريز/ شبريس" (رشقة الطينة الأسمنتية) لتغيير اللون للأبيض، فضلاً عن أن قشرة الشبريز تضيف متانة للبناء، فهي تمنع تسرّب مياه الأمطار عبر الجدران، وتحافظ على تماسك الطوب. كما قد يلجأ البعض إلى الرسم على تلك القشرة أو رسم خطوط على القصارة الأسمنتية ليظهر البيت من بعيد وكأنه مكسوّ بالحجر الأبيض. وقد استخدم هذا الأسلوب في الريف كذلك، وبشكل أقلّ في المدينة. وتدرجياً دخل الحجر على البناء في المخيمات، ولكن بشكل أقلّ مقارنة مع المدينة أو الريف.

استخدم الحجر في بناء البيت أيضاً، لكن وبسبب الازدحام وعدم الانتظام، فقد غابت، في الغالب، جمالية العمارة في البيت من الخارج، لكنها تجلّت في داخل البيت، فتمّ العمل على توفير المتانة وتلبية الاحتياج والجمالية في الداخل رغم محدودية القدرات. تمّع البيت في المخيم بفضاءات خارجية، لمن أتيح له فضاء ما، ليزرع في تلك المساحة الصغيرة جداً شجرة ليمون أو زيتونة إلى جانب الورد الجوري وأحواض النعناع والمريمية. كما أعطيت للحارات أسماء المدن والبلدات والقرى التي هُجّر منها سكان المخيم. وعلى تواضع جدران البيوت في المخيم، إلا أنها كانت موضوعاً لخلق جمال ما، باعتبار جمال العمارة مقاومة، حيث عُطيت برسومات "الجرافيتي" والألوان والشعارات الوطنية. وعلى نحو ما، إن كان كلُّ من الفضاء والمكان والحيز يمثّل ما هو "خارج موضوعي"، فإن المخيال⁷⁵ والخيال داخل ذاتي يتجلّى من خلال تقنيات يبتدعها الناس خلال الفعل والتخيّل في آنٍ واحد.

في بيت المخيم الجديد، ما بعد الخيمة وغرفة الوكالة، تلاشت الفوارق بين البيوت للناظر إليها من الخارج، فالداخل هو المحدد. هذا ولا تتمتع غالبية البيوت بخصوصية مناسبة بسبب الزحام والتلاصق ومقاييس البناء قليلة الجودة. كما اتفق على أعراف معمارية عديدة، منها: ألا يفتح أحد ما نافذته الجديدة أمام نافذة سابقة عليه. وقد تميزت عمارة البيت في المخيم، بالحد الأدنى من التكلفة، التي بدأت تزداد لاحقاً، وبالحد الأعلى من استغلال المساحات للسكن بالدرجة الأولى، وهو ما خلق فضاءً مكتظاً ومتراكماً من البيوت، وملائماً للمقاومة بالظهور والاختفاء. كما شكل غياب التخطيط الحضري، وظروف الاكتظاظ، وغياب الكثير من أشكال البنى التحتية، التي لا يمكن للبيت أن يكون بيتاً دونها، كالصرف الصحي والنفايات والتهوية... معضلات عانى منها السكان كثيراً.



مرئية رقم (15): عمارة مخيم الدهيشة زمنياً

المصدر: أرشيف فلسطين في الذاكرة، ومؤسسة الدراسات الفلسطينية⁷⁶

بعد عقود من الهندسة الاستعمارية، وبعد العجز عن كسر المخيم، بفضائه وأمكنته وأهله، يلجأ اليوم الاحتلال الاستعماري الصهيوني إلى المحو، أو ما يمكن أن يطلق عليه "الإبادة المعمارية" أو "الإبادة المدنية" كما هو حاصل في قطاع غزة أو مخيم جنين ومخيم طولكرم وبقية "مخيمات شمال الضفة الغربية"، حيث لا يقتصر الأمر، على هدم الأمكنة وتدميرها ومحوها، بل وكذلك القضاء على كل ما يرتبط به مادياً ومعنوياً، على الرغم من أن أفعال التدمير والهدم والمحو تشكّل نقطة بداية لبناء ومعمار جديد دائماً.

حجر البناء وثيقة معمارية

يعتبر مسعود ظاهر أن العمارة هي الظاهرة الاجتماعية الأكثر بروزاً وثباتاً، لأنها صُنعت من مواد صلبة، ومنها ما له القدرة على الاستمرار لقرون طويلة. فهي ظاهرة اجتماعية متعدّدة الغايات، وهي وثيقة تاريخية.⁷⁷ وبالفعل، فالحجر الفلسطيني، من أهم "الوثائق" المعمارية لدراسة تاريخ فلسطين، أو المواد التي حفظته على الرغم من كل ما مرّ على فلسطين. في حلقة بحثية للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في الدوحة، قدّم بشارة دوماني⁷⁸ عرضاً لمشروع كتابه الموسوم بـ **العمارة بالحجر الجيري والرمل والطوب: نحو تاريخ حديث للفلسطينيين**، حيث قال: "إن مشروع بحثه يدور حول الحجر نفسه باعتباره فاعلاً تاريخياً، ومصدراً لكتابة التاريخ الحديث للفلسطينيين، يتحدّى سردية المكان والزمان."⁷⁹ كما يرى دوماني أن دراسة انتشار الحجر تتيح تشكيل فهم أعمق لعلاقة الفلسطينيين بالأرض ومنازلهم ومحيطهم الخارجي، وتسمح أيضاً بالتركيز على سنوات الظل للتاريخ الفلسطيني في القرن العشرين (خاصةً 1939-1947، و1949-1965)، حيث كانت هذه السنوات حاسمة في جهود "إعادة البناء" من خلال الحجر، والكتل، والأسمنت.⁸⁰

يعتبر الحجر أحد أهم المواد التي استخدمت في العمارة الفلسطينية عبر التاريخ، وذلك بسبب غنى جبال فلسطين بأنواع عديدة من الحجر عالي الجودة عالمياً.⁸¹ وقد تصاعدت أهمية الحجر ما بعد الاحتلال سنة 1967 لكونه مادة محلية متاحة، وترمز للأرض والهوية والتراث، وتتمتع بشروط: "المتانة والجمال والمنفعة. فهو ممكن من حيث التكلفة وتوفّر بنية تحتية صناعية ووجود كميات كبيرة منه. ومرغوب لصفاته وجودته التي جعلته سلعة ذات قيمة. فهو متعدّد الألوان، ودرجات الصلابة، ويتمتع بخاصية توحيد اللون. شكل الحجر الموسوم باسم: 'حجر فلسطين' رسالة وخطاباً يث حول العالم عبر التصدير. خلقت 'صناعة الحجر والرخام' قطاعاً اقتصادياً هاماً، ارتبطت به الكثير من الحرف والصناعات، سواء في مقالع الحجر أو مصانعه أو ما يتعلق بطرق تشطيب الحجر."⁸² كما ساهم الحجر في توفير فرص العمل والاستثمار، ولذلك يسمى بـ "الذهب الأبيض".

انتقل الفلسطينيون من استخراج الحجر بطرق يدوية تقليدية من صخور محلية للبناء إلى مرحلة الصناعة. وقد تعدّدت المقالع والمصانع وازدادت الأيدي العاملة، ومنح الحجر اسماً محدّداً ليكون له ماركة أو اسم تجاري للترويج. كما تقلّصت قياسات الحجر لتقليل الكلفة، من: 20-30 سم إلى 2 أو 5 أو 8 سم. وساهم ذلك كله في جعل الحجر، كمادة بناء، في متناول يد الجميع، وبكميات غير محدودة، بغض النظر عن الوضع الاقتصادي أو الطبقي

أو المكانة الاجتماعية. وقد شكل الحجر الهوية البصرية والجمالية للبيت في فلسطين وللعمرارة الفلسطينية بشكل عام، إذ منح العمارة/ البيت هوية تعبر عن تراث وثقافة وجمالية، تعوّض عن تراجع العمارة التقليدية التراثية وجمالياتها. ولكن لا بدّ من التذكير أنه لا ينبغي إغفال دور الاحتلال في تسهيل تطوّر هذا القطاع بالسكوت عنه، وذلك لحاجته للحجر في عمارته الاستعمارية، كما لا ينبغي إغفال أثر مقالع الحجر على البيئة.

لقد تمّ استخدام الحجر في بناء البيت بغية توفير لمسات جمالية من خلال اعتماد طرق تشطيب متنوّعة، واستخدام حجر متنوّع الألوان لأجل الحفاظ على أعراف بناء الحجر، التراثي والحداثي، قدر المستطاع. فلا بدّ، مثلاً، من وجود "الشُقْف"، أي قطع الحجر المخصّصة لجوانب الأبواب والشبابيك والزوايا كحدّ أدنى، فيما استخدمت قطع حجرية أخرى كأعمدة الحجر وتيجانها وقواعدها والكورنيش⁸³ والزفر⁸⁴ ودرابزين الأدرج⁸⁵ في البيوت الأكثر فخامة.

يظهر الاختلاف في نوع الحجر ولونه في كثير من المباني، إذ يكون الطابق الأول من حجر قديم مقطوع من المقالع بشكل يدوي، وأبعاده ضخمة. ويبنى الطابق الثاني من حجر مختلف، حديث نسبياً، ولا يتمتّع بجودة الحجر الأول ولا أبعاده الضخمة، ومع ذلك يجاهد للحفاظ على هوية وجمالية ما مقارنةً بسابقه. ولعل هذا الإصرار على توظيف الحجر في بناء البيت شبيه بزراعة الزيتون والبرتقال في فضاء المنزل، وهو إصرار على تأكيد البقاء على الأرض، ببقاء زيتون فلسطين الذي يعمّر لألاف السنين وحجر فلسطين الذي يزداد رونقاً كلّما مرّ عليه قرن من الزمن، وكلّما تمّ تنظيفه أو أعيدت عملية "الكحلة"... والكحل لا يكون إلا للعيون.

الباب: بنية علامات

الباب وجه وناصية البيت، والسّرّب الذي يولج إلى الداخل، وأحد أهم عناصر خطاطة البيت الهندسية/ المعمارية أو المتخيلة لدى المعماري/ البنّاء، أو مالك البيت. ومنذ فجر تاريخ العمارة، تمّ إيلاء الباب أهمية كبيرة، إذ هو رمز التحصين والدفاع والمقاومة، وأحد أهم جماليات البيت. وعلى الرغم من تراجع التراث التقليدي، إلا أن نمط الممكن والمتاح، حافظ على خصوصية ما، فمزج التراثي والحداثي المتاح. والباب، كذلك، هو قبلة البيت، إن كان شمالياً أو جنوبياً، وهو تأكيد على ما كانت عليه البيوت وأبوابها. ويقول مطلع مؤال العتابا الفلسطيني الشهير الذي يفيض بالحنين: "شمالي يا هوا الديرة شمالي، على اللي أبوابهم تفتح شمال... والباب كناية ورمز لباب المدينة، وأبواب حاراتها وأزقتها، وتذكير بأبواب الطبيعة كأبواب الوديان، بل وأبواب السماء. إنه باب الجامع والكنيسة والدير، وبوابة المخيم، وباب السرايا، وباب السجن، وباب الحرية.

لقد تعددت صور الباب، حيث هناك: شبه الباب، والباب البسيط، والباب الفاخر. انتقل الباب من الخشبي إلى الحديدي الأكثر منعة. ولا باب دون مفتاح، أو زنّد. ولا باب دون عين سحرية. ولا باب دون تعويذة دينية أو تراثية تعلق القمط العلوي. كان الباب وما زال، نقطة أساسية في جمالية البيت، ومثانته وصحّة تموضعه في فضاء البيت. لكن تقلّصت العلامات في نمط الممكن والمتاح، العلامات التي يحتويها "الحلّق" (إطار الباب) والباب

نفسه: الحجر الضخم والأعمدة للخلق والعتبات والباب الحديدي أو الخشي المنيع والزخارف. فقد تقلص الباب في هذا النمط كثيراً مقارنة باب القصر والبيت الكبير، لكنه تطاول مقارنة باب البيت البسيط.



مرئية رقم (16): باب قصر قوأس- بيت لحم، صفحة أهالي مدينة بيت ساحور،⁸⁶ 2025

الباب غالباً، توأم "بيت الدرّج"، أو بئر السلم، وبيت الدرج هذا "بيت داخل البيت"، وهو أشبه بمنطقة "الترانزيت" إذ يعبر الشخص عبر الباب، فيدخل في بيت الدرج، قبل أن يلجّ من باب آخر إلى قلب البيت ومساحته الخاصّة المحظورة على الغرباء: الصالة والمطبخ، أو إلى مساحاته العامّة: الصالون والشرفة. بيت الدرج، شبيه المدخل المنكسر في العمارة قديماً. وفيه الدرج أو مسار الصعود إلى سطح البيت، حيث السماء، والإطلالة على الفضاء. والدرج، مسار الهبوط بحثاً عن الاختفاء داخل البيت. بيت الدرج هو جزء من واجهة البيت، ويكون الباب جزءاً منه. هو المكان الأكثر أماناً في البيت، في حالات الخطر، فهو "شبه ملجأ"، حيث عمارة لا تحتمل أعباء تكلفة الملاجئ في بلاد الحرب منذ عقود. وهو يضيف لمسة جمالية من الخارج، وإن كان فضاءً غير مستغلّ في الغالب.

في نمط البيت المعاصر في المدينة أصبح الباب غالباً يؤدّي بصرياً إلى قلب البيت. الباب لن يحمي البيت من الهدم، أو من اقتحام الجنود، وقد يمنع تسلّل اللصوص، لكنه يبقى حاضراً في المخيال كسرب بين عالمين، وبرزخ بين الخارج والداخل، فلا يبيغان. الباب صاحب نفوذ الاعتراف والإقصاء، يدي من في الداخل، ويعترف بأنه القريب الأنيس، وينبذ ويحظر من في الخارج، وقد يرميه بتهمة الغريب الموحش، والعكس صحيح. للباب "خلق" يتلغ ويلفظ ويحذر بسلاحه وحوافه، وللباب حنو وهو ينطق بلسان نقش تعويذته التي تشكّل تاجه لتعلن عنه، وقد يكتف.

يخاطب الباب الواقف على عتبته معلناً: بلونه وخوخته، وقد أصبحت الجرس الكهربائي، وما فيه من خشب، وحديد، وزخرف وفن، ومرهباً بأسرار مفتاحه وزنده ومتراسه. وللباب يد، غالباً، عليك أن تصافحها ليفتح لك.

لكل منا بابه، ولغته، فنحن أشباه البيوت، ولربما نكون نحن الباب. فماذا لو كان البيت بلا باب؟ ماذا لو كانت المدينة بلا أبواب؟ لا يكون أيُّ فضاء مكاناً إن لم يكن له أبواب: للجنة وللجحيم أبواب، ولهما أسماء، فكيف يكون الباب باباً إن لم يكن له اسم. الباب اسم مدَّكر، لكنَّه يؤنَّث عندما يكون أكبر، فيصير بؤابة! الباب ثابت ومتحوّل، وهو داخل في ذاته من ناحية، وخارج من ناحية أخرى. إنه انفتاح مشرع وانغلاق مقيم. الباب خشن الوجود إن انغلق، وودود إن انفتح، ومحتال موارب إن كان بين بين.

وبعيداً عن شعرية الباب، فقد تميز بناؤه في هذا النمط المعاصر بالملامح التالية: البناء بحجارة أكبر من غيرها من حيث المقاييس أو من نوع حجر له تشطيب مختلف عن تشطيب حجر الجدران التي قد يختلف بلونه عنها؛ الاتساع في واجهة البيت الأجمَل؛ تراجع دلالات موقع الباب في يمين أو اليسار أو الوسط لصالح عملية الاستخدام بالنسبة لفضاء البيت؛ استبدال التعويذة التي تعلو قمت الباب العلوي بالعين السحرية في الباب نفسه؛ تساؤل حجم المفتاح، واستبدال الزند الكبير بالقفل، ظهور زخرفات الباب الحديدي بما فيها الزجاج؛ إلزامية القمط الحجري المكوّن لعتبة الباب العلوي وقطع حجر الباب من "الشُّفِّف" المكوّنة لحلق الباب أو سلاحه؛ مشابهة لون طلاء الباب للون النوافذ وحماياتها الحديدية، والجرس والمصباح المصاحبان لعتبة الباب؛ تخفيف سماكة حديد الباب مقارنة بسماكة الباب الحديدي التقليدي أو المختلط من الخشب والحديد، واختفاء منه قطع الزُّند والخوخة؛ مجاورة الباب الرئيسي غالباً في الواجهة للشُّرفة؛⁸⁷ وعدم انفصال المصطبة عن الباب.

الشُّرفة: زمكان البيت

تشكّل الشُّرفة الفضاء المادي الجمالي والاجتماعي بين أهل البيت من ناحية، وبين أهل البيت ومن هم خارج البيت من ناحية أخرى. وفيما مضى، لم تكن الشُّرفة في البيت البسيط متاحة، أما في القصور والبيوت الفاخرة فكانت حاضرة. وقد أتاح البيت المعاصر الانفتاح على الفضاء الخارجي، فأصبحت الشُّرفة الفضاء الاجتماعي الأكثر حيوية لمن هم داخل البيت، والفضاء الذي يتقابل فيه من هم من داخل البيت مع من هم خارجه كذلك باعتبارها جزءاً من هندسة البيت، فكانت تحتلُّ الواجهة إلى جوار الباب، بل وقد يكون الباب هو المؤدِّي إليها قبل أن يصل عابروه إلى أعماق البيت. الشُّرفة منطقة انتقالية في زمكان البيت، وهي لمسة جمالية على عمارة البيت تحظى بالأعمدة الحجرية والتيجان: عمودان أو ثلاثة في الغالب، وتزداد بازدياد درجة ثراء صاحب البيت، الذي إن قرر تكرار الأعمدة فسيصاحب ذلك أقواس تربط الأعمدة بعضها مع البعض الآخر.

وعلى نحو ما، فإن الشُّرفة هي تحوّل اجتماعي مقاوم، فهي انفتاح نحو الخارج. والمقاومة فعل جماعي غير منغلق، ومنغلق جداً إذ هو العالم السري، لكن البيئات الحاضنة تحضر في الواجهة، وهي الشُّرفة. فالشُّرفة، مرةً أخرى،

هي لمسة جمالية تحتوي على أعمدة الحجر وهي بأكملها من الحجر، وهي المكان الوحيد في البيت الذي تكون جدرانه مكسية بالحجر من الخارج ومن الداخل.



مرئية رقم (17): (عمارة بيت الباحث) كنموذج لتداخل تمثّلات مالك البيت وتمثّلات البنا في عمارة البيت،
أرشيف الباحث، -2012 2019

خلاصة

شكّل نمط عمارة بيت "المتاح والممكن" خلال الفترة 1967-1994 أحد تكتيكات الصمود والبقاء في المكان، ومثّل نموذجاً هجيناً ومعاصراً لعمارة المقاومة. كما تميّز نمط عمارة بيت الممكن والمتاح بأنه جزء من عمارة المقاومة لعدة أسباب، أهمها: أنه لم تنجح سياسات وإستراتيجيات الهندسة الاستعمارية في منع بناء البيوت بشكل تام وإن نجحت بحصر السكان الفلسطينيين في مناطق مكتظة خلال العقود الثلاثة الأخيرة. وإن عمارة هذا البيت اعتمدت على إستراتيجيات وتكتيكات ظاهرة وخفية ومتّفق ضمناً عليها، وهي: البناء غير المكتمل، أو البناء البطيء، أو السريع جداً، أو الأفقي، غالباً في الريف؛ البناء العمودي، غالباً في المدينة والمخيم؛ وعمارة البناء المؤقت وغير المنتظم والعشوائي المنظم، غالباً في المخيم. حافظ نمط البيت المتاح والممكن على الكثير من السمات الهويّاتية، والتراثية، والجمالية إذ أسس هذا النمط، لتشكّل هوية معمارية معاصرة في فلسطين. وبالنظر على السمات المعمارية وخطوطها العامة، المذكورة آنفاً، يمكن تعميم بعض نتائج الدراسة على باقي محافظات الضفة وقطاع غزة بشكل نسبي.

لقد تراجع نمط عمارة بيت المتاح والممكن مع قيام السلطة الفلسطينية في العام 1994، وذلك بسبب ما رافقها

من تغيرات اقتصادية واجتماعية كبيرة، ومن ثم انتفاضة الأقصى وما تلاها من "حرب" استعمارية معلنة. وقد دفع هذا كله العمارة الفلسطينية نحو عمارة حديثة عمودية تشكّل من الزجاج والألمنيوم تفتقر لهوية محدّدة. وعلى الرغم من جهود إحياء التراث المعماري والحفاظ عليه، لم تنجح تلك الجهود في خلق رؤى معمارية تشكّل مخيلاً معمارياً جمعياً يُتَّفَق عليه بين أصحاب البيوت، والبنائين، والمهندسين، والمعماريين، والجهات الفلسطينية الرسمية المعنية بالعمارة والبناء. ولذا، تتّجه الفضاءات والأمكنة، والعمارة ككل، في فلسطين لتصبح مكتنّزة وغير قابلة للعيش، بسبب تصاعد سياسات وإستراتيجيات الهندسة الاستعمارية والتزايد السكاني الكبير. وأخيراً، يقف الشعب الفلسطيني والعمارة الفلسطينية، بفناءاتها وأمكنتها، أمام أعنى سياسات الاحتلال الاستعماري، ألا وهي الإبادة الجماعية، والإبادة المعمارية، بالتدمير والمحو الكامل، وهو ما يوجب موقف صمود حقيقي من الجميع

الإحالات

- [1] للمزيد انظر: إسماعيل ناشف، معمارية الفقدان (بيروت: دار الفارابي، 2012).
- [2] تمّ فرض نظام الحكم العسكري بموجب أنظمة الدفاع (الطوارئ) لسنة 1945 وقوانين أخرى انتدابية و"إسرائيلية".
- [3] منصور النصار، "فضاء بئر السبع والجنوب الفلسطيني: حكاية عقود من النضال والصمود"، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 140 (2024): 44-62.
- [4] أسّس "الحكم العسكري" للسيطرة على الفلسطينيين وإدارة شؤونهم في الأرض المحتلة، وتمّ تحويل صلاحياته إلى "الإدارة المدنية" في سنة 1981.
- [5] ماركو فيتروفوس بويلو (15 - 80 Marcus Vitruvius Pollio ق.م.، هو معماري روماني صاحب كتاب: دي أركيتيتورا - De architectura، الكتب العشرة في العمارة.
- [6] ماركوس فيتريفوس، الكتب العشرة في العمارة، ترجمة يسار عابدين وآخرين (دمشق: جامعة دمشق، 2009)، 17.
- [7] العمران لغّة من غمر، يُقال إنه عمر أرضه، يعمرها عمارة، والعمارة نقيض الخراب، وعمرت الخراب فهو عامر أو معمور، وأعمرته الأرض واستعمرته، إذا فوّضت إليه العمارة. للمزيد انظر: خالد عزب، "هل كان ابن خلدون مؤسس علم العمران؟" ديوان العرب، 18 حزيران 2023، شوهد في 4 نيسان 2026.
<https://diwanalarab.com/61925-نارمغلا-ملع-سسؤم-نودلخ-نبا-ناك-له/>
- [8] المصدر نفسه.
- [9] عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج1 (بيروت: دار الفكر، 1، 1981)، 509.
- [10] المصدر نفسه، 152.
- [11] يخصّص عالم الاجتماع الفرنسي أوليفيه شادوا Olivier Chadoin كتابه سوسيولوجيا الهندسة المعمارية والمهندسون المعماريون للإجابة على تساؤل: إن كانت العمارة تشكّل موضوعاً لعلم الاجتماع والعلاقة بينهما. للمزيد انظر: سعيد بو كرامي، "سوسيولوجيا الهندسة المعمارية والمهندسون المعماريون"، التفاهم، 19 آب 2021، شوهد في 4 نيسان 2026.
<https://st.mara.gov.om/post/2397/نويرامعلا-نوسدنهملو-ةبرامعلا-ةسدنهلا-ايحولويسوس/>

- [12] مؤرخ وكاتب لبناني حائز على دكتوراه الدولة في التاريخ الاجتماعي من جامعة السوربون 1973.
- [13] رفعة الجادري، في سببية وجدلية العمارة (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006)، 44.
- [14] ديفيد هارفي، مدن متمردة: من الحق في المدينة إلى ثورة الحضر، ترجمة لبنى صبري (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2017)، 31.
- [15] هنالك تداخل مفاهيمي وآخر لغوي، نظراً لتعدد الترجمات، بين عدّة مفردات: الفضاء، والمكان، والموقع، والمنطقة، والحيز. وفي هذا يقول فيل هوبارد: "على الرغم من أن مفاهيم المكان/الفضاء، قد تبدو ذاتية التفسير، إلا أنها من أكثر المفاهيم انتشاراً وسوءاً وتحديداً غير مكتمل في العلوم الاجتماعية والإنسانية. ومن ثم، عندما يُطلب منك التفكير في أهميتهما، يواجه المرء عدداً من الصعوبات التي تتضاعف إذا توقّف المرء عن التفكير في أهمية الشرط المائل في: المكان/الفضاء". للمزيد انظر: فيل هوبارد، المكان والفضاء، الجغرافيا الثقافية، ترجمة: مضر خليل عمر. د.ن. د.ت.، شوهد في 4 نيسان 2026. <https://www.muthar-alomar.com/wp-content/uploads/2021/04/اضفلا-وناكلا/7-اضفلا-وناكلا.pdf>.
- لذا، تنظر الدراسة وتوظّف مفردات: الفضاء-SPACE أو المكان/PLACE باعتبارها SPACE كمنتج اجتماعي.
- [16] Henri Lefebvre, *The Production of Space*, trans. Donald Nicholson – Smith (UK: Blackwell, 1991), 26.
- [17] Ibid., 190-191.
- [18] Ibid., 39.
- [19] Ibid., 33.
- [20] ميشال دو سارتو، ابتكار الحياة اليومية، ترجمة محمد شوقي الزين (بيروت: الدار العربية للعلوم، 2011)، 218-219.
- [21] حمزة المعموري وأميرة أحمد، العمارة والمجتمع، د.ت.، شوهد في 4 نيسان 2026. https://www.researchgate.net/profile/Prof-Drhamzah-Jasim/publication/312318501_Architecture_and_society/links/58c3ab5baca272e36dd05197/Architecture-and-society.pdf.
- [22] غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1984)، 35-45.
- [23] Christopher Alexander, *The Production of Houses* (New York: Oxford University, 1985), 14.
- [24] إدوارد سعيد، القضية الفلسطينية والمجتمع الأمريكي، أوراق مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 1 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1980)، 23.
- [25] غاباتي سيبفاك، هل يستطيع التابع أن يتكلم، ترجمة خالد حافظي (المملكة العربية السعودية: صفحة سبعة للنشر والتوزيع، 2020): 68-67.
- [26] هي سلطة إمامة فئة معيّنة من الناس، باعتبارها جزءاً من السيادة، وذلك بإخضاع حياتهم لسلطة الموت، وتعيين الذين قد يعيشون والذين يجب أن يموتوا. يرى ميشيل فوكو أن السياسات الحيوية هي سلطة الإحياء باعتبارها من أعمال السيادة، أي أنها تهدف إلى الحفاظ على الحياة، في مقابل السلطة السيادية التي تنهض على الإمامة.
- [27] للمزيد انظر: ميشيل فوكو، المراقبة والعقاب، ترجمة علي مقلد (بيروت: مركز الإنماء القومي، 1990)، 236-238.
- [28] Achille Mbembe, *Necropolitics*, trans. by Libby Meintjes, *Public Culture*, Vol.15, No. 1 (2003): 11-40, 27.

[29] جورجيو أغامبين، **حالة الاستثناء-الإنسان الحرام**، ترجمة ناصر إسماعيل (القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر، 2015)، 41-42. يقول جورجيو أغامبين إن حالة الاستثناء هي "حالة الطوارئ" التي يُعلَق فيها القانون من قبل السلطة في سياق تكريس الهيمنة والاستبداد، لتغدو حالة "الطوارئ" حالة دائمة. وتوظف الدراسة مفهوم حالة "الاستثناء" هنا ليس ارتباطاً بالقانون فحسب، وإنما بمعنى أوسع يشير إلى مجال استثناء مر كّب خضعت له مدن وقرى ومخيمات الفلسطينيين في شكل استثناء قانوني، وهندسي، وحيوي، وثقافي، وسياسي.

[30] أليساندرو بيتي، "الهندسة المعمارية للمنى،" **جامعة في المخيم**، 5 أيار 2022، شوهد في 4 نيسان 2026. <https://www.campusincamps.ps/ar/بفممل-ةبرامعلا-ةسدنهلا>.

يقول أليساندرو بيتي، "استدعيت الفضاءات العالقة فضاءات التعليق إلى حيز الوجود بسبب المخاوف الأمنية، لكونها نموذجاً حقيقياً للسيطرة الاجتماعية والمكانية، حيث في داخل الفضاءات العالقة، التعليق كان يتمّ بتحويل شعب إلى مجرد سكّان وأرقام يُحكّمون ويدارون."

[31] في وصفها لمعسكرات الاعتقال، تقول حتّه أرندت "لا يوجد نظير للحياة في معسكرات الاعتقال، لا يمكن للخيال أن يتقبّل رعبها، لكونها تقف خارج الحياة والموت." للمزيد انظر:

Hannah Arendt, *The Origins of Totalitarianism* (New York: Harvest, 1966), 444.

[32] Mbembe, op.cit., 26.

[33] أشيل مبيمي، **الوحشية: فقدان الهوية الإنسانية**، ترجمة نادرة السنوسي (الجزائر: دار الروافد الثقافية- ناشرون، 2012). يخصّص أشيل مبيمي كتابه لنقاش ظاهرة "الوحشية" باعتبارها حالة التجرّد وفقدان الهوية الإنسانية التي تجاوزت البشر لتكون ضدّ الطبيعة والكائنات الأخرى على الأرض، وذلك في سياق سعي الإنسان (السلطة/ الرأسمالية/ الاستعمارية) من أجل السيطرة متسلّحة بكلّ أدوات التقدّم التكنولوجي والعنصرية وسياسات الموت.

[34] يُجرّم القانون الدولي جريمة الإبادة وجريمة الإبادة الجماعية التي يطلق عليها مسمى آخر هو: "أم الجرائم."

[35] مبيمي، مصدر سبق ذكره، 15-16.

[36] عبد الله البياري، "المكان كنص، والجسد كحرف: كيف نكتب مقاومتنا وصلاتنا"، **باب الواد**، 25 تموز 2017، شوهد في 4 نيسان 2026. <https://babelwad.com/article/فرك-ك-دسجلاو-ضنك-ناكملا>.

[37] وديع عواودة، "مؤرخ يهودي يقدم نظرة جديدة لحرب 1967"، **القدس العربي**، 7 شباط 2021، شوهد في 4 نيسان 2026. <https://arabiansforum.net/archives/13993>.

[38] مبنى سجن قام بتصميمه الفيلسوف الإنكليزي والمنظر الاجتماعي "جيريمي بنتام" في العام 1785. ويستخدم المصطلح لوصف آليات المراقبة على رأسها المراقبة البصرية. للمزيد انظر كتاب: فوكو، **المراقبة والعقاب**، مصدر سبق ذكره.

[39] مرثية رقم 3:

- قيس أبو سمرة، "جدارية شيرين أبو عاقلة أول ما سيشاهدها بايدن في بيت لحم"، **شبكة مواقع الأناضول**، 6 تموز 2022، شوهد في 4 نيسان 2026 - <https://www.aa.com.tr/ar/مجدت-يدي-فن-ديار-مدهاشيد-امل-وأقلاء-عول-ة-يرلد-د-ل-جذرل-سا>.

- بدون رقابة، "جورج فلويد في جدارية رسمها مجهول على جدار الفصل العنصري في بيت لحم بالضفة الغربية المحتلة"، **بدون رقابة**، 10 حزيران 2020، شوهد في 4 نيسان 2026.

- https://bedounraqaba.net/#google_vignette/دجتي-ل-لوهجم-اهمسرة-تيرلدجتي-فديوإف-جروذ.

- آريبيان بزنس، "شاهد فندق باتكسي بأسوأ إطلالة في فلسطين"، 22 كانون الأول 2019، شوهد في 4 نيسان 2026 - <https://arabic.arabianbusiness.com/gallery/382250-لوسأبي-سكنا-ة-دندة-دهاش-382250>.

- "الجدار العنصري لليسار وللميمن، للأمم وللخلف"، **فلسطين في الذاكرة**، 16 كانون الأول 2007، شوهد في 4 نيسان 2026.

والكهوف في البادية والأرياف.

[57] مرثية رقم 6:
- رائد رمان، "قصر شهوان في بيت جالا- قصة صمود عمرها 100 عام رغم الاحتلال والرصاص"، إرم، 20 تشرين الثاني 2017، شوهد
4 نيسان 2026.

<https://www.ereemnews.com/entertainment/1075985>.

- عاطف دغلس، "قصر جاسر: حضور فلسطين وحضارتها"، الجزيرة، 22 تشرين الأول 2017، شوهد 4 نيسان 2026
<https://www.aljazeera.net/culture/2017/10/22/اهتراضحو-نيطسلف-روضح-رساج-رصق>.

[58] Kenneth Frampton, "Toward A Critical Regionalism: Six Points for An Architecture of Resistance" in *The Anti-Aesthetic*, ed. Hal Foster (Washington: Bay Press, Port Townsend, 1983), 16-30.

[59] معمارية وباحثة مصرية في مجال عمارة المقاومة.

[60] عالية سامح عكاشة، **عمارة المقاومة** (القاهرة: جمعية أصدقاء أحمد بهاء الدين، 2011)، 17.

[61] تعتبر "المقاومة" حالة اجتماعية تحريرية شاملة تتجاوز كونها حدثاً أو مجموعة من الأحداث والممارسات التي ترتبط بالاعنف أو اللاعنف.

[62] للمزيد انظر: ميشال دو سارتو، **مصدر سبق ذكره**، 31-32، 89-97، 179-208.

[63] شارع يمتد لمسافة 2 كيلو متر يربط بين منطقة باب الدير (ساحة كنيسة) المههد وباب الزقاق.

[64] ضحى النوري وآخرون، "العمارة المتوسطة بين الثقافة المحلية والمعاصرة: مقابلة مع المعمار إلياس خوري"، **مجلة تواني تو للعمارة**، العدد 110 (2023)، شوهد في 4 نيسان 2026.

<https://22architecture.org/%20باجان%20به%20بلحملا%20قرااملا%20:-/#/بلحملا-ةفاقتلا-نپ-ةبسطوتلا-قرااملا>
[تأمرحو%20ةنايدو%20سوقطو%20ديلاقو%20تاداع.مكارتل](https://22architecture.org/%20باجان%20به%20بلحملا%20قرااملا%20:-/#/بلحملا-ةفاقتلا-نپ-ةبسطوتلا-قرااملا).

[65] مانيلو بروتاتين، **قصة الخطوط**، ترجمة السنوسي استيته (المنامة: هيئة البحرين للثقافة والآثار، 2017)، 220.

[66] قدّم ميشيل فوكو تعريفات عديدة للخطاب جاعلاً منه شكلاً من أشكال السلطة والقوة، بل وهدفاً متنازعاً عليه. كما لا يعتبره مجرد نصّ أو تجلّ مادي عبر الكتابة والكلام فحسب. للمزيد انظر: ميشيل فوكو، **نظام الخطاب**، ترجمة محمد سبيلا (بيروت: دار التنوير، 1984)، 4-5؛ ميشيل فوكو، **حفرات المعرفة**، ترجمة سالم يفوت (بيروت: المركز الثقافي العربي، 1987)، 25، 108-109.

[67] ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، 191.

[68] بدر بن ناصر الحمدان، "عمارة البادية"، **الجزيرة**. كوم، 11 كانون الثاني 2012، شوهد في 4 نيسان 2026.
<https://www.al-jazirah.com/2021/20210111/ln18.htm>.

[69] يستند الباحث على زيارته الميدانية للتجمعات البدوية الفلسطينية، ومقابلاته مع المجتمع المحلي فيها، وخبراته الشخصية في الفترة ما بين 2015-2025 باعتباره مدير برامج مؤسسة بدو بلا حدود - في فلسطين. للمزيد انظر الموقع الإلكتروني:

<https://thebedouin.org/>

[70] مرثية رقم 13:

- "عرب الرشيدة: منظر عام"، **فلسطين في الذاكرة**، 24 نيسان 2011، شوهد 4 نيسان 2026.

https://www.palestineremembered.com/GeoPoints/Arab_al_Rashaydih_8215/ar/index.html.

- عوض الرجوب، "شعب تيمًا" قلعة صمود أخرى تنهار على وقع جرائم المستوطنين بالضفة، "الجزيرة"، 8 آب 2025، شوهده 4 نيسان 2026.
<https://www.aljazeera.net/politics/2025/8/8/محل-تيب-ريجته-دياشر-لا-نيطلسف/>.

[71] يحفر البئر باخترق طبقة صخرية صلبة للوصول إلى التربة غير الصلبة ومن ثم يتم حفر المساحة المطلوبة على شكل "الكُمثرى" ولهذا يطلق عليه بالعامية الفلسطينية: بئر إنجاصة.

[72] يرى جيمس سكوت، أن "جميع المجموعات التابعة تستخدم استراتيجيات المقاومة التي تمرّ دون أن يلاحظها أحد من قبل الجماعات المتفوقة والتي يسميها "السياسة التحتية". انظر: جيمس سكوت، المقاومة بالحيلة، كيف يهمس المحكوم من وراء ظهر الحاكم، ترجمة إبراهيم العريس وميخائيل خوري (بيروت: دار الساقي، 1995)، 218. 46، هر كذ قيس ردصم، ةشاكع [73]

[74] غرف صغيرة بُني بدعم من وكالة غوث وتشغيل اللاجئين وتوزّع على العائلات في المخيم.

[75] يتشكّل المتخيل، كما يقول هاشم صالح، تاريخياً في الذاكرة الجماعية أو في الذهن، ويمكن استغلاله سياسياً وإيديولوجياً في اللحظات التاريخية العصبية، فهو يضرب بجذوره في أعماق اللاوعي عبر تشكله خلال المراحل التاريخية، وهو هنا: "عبارة عن شبكة من الصور التي تستثار في أيّ لحظة بشكل لا واعي وكنوع من ردّ الفعل". انظر: محمد أركون، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، ترجمة وتعليق هاشم صالح (بيروت: دار الساقي، 1995)، 12.

[76] مرثية رقم 15:

- "صورة الخيام: منظر عام للمخيم بعد النكبة مباشرة،" فلسطين في الذاكرة، 28 أيار 2021، شوهده في 4 نيسان 2026.
https://www.palestineremembered.com/GeoPoints/Deheishe_R_C_2093/ar/Picture_114873.html.

- "صورة سياج المخيم: جولة نادرة في المخيم صورت من جوس دراوي 1989،" فلسطين في الذاكرة، 3 تشرين الأول 2025، شوهده في 4 نيسان 2026.
https://www.palestineremembered.com/GeoPoints/Deheishe_R_C_2093/ar/Picture149618.html.

- "بوابة المخيم: فلسطين في الذاكرة، جولة نادرة في المخيم صورت من جوس دراوي 1989،" فلسطين في الذاكرة، 3 تشرين الأول 2025، شوهده في 4 نيسان 2026.
https://www.palestineremembered.com/GeoPoints/Deheishe_R_C_2093/ar/Picture149610.html.

- "غرفة الوكالة: فلسطين في الذاكرة، جولة نادرة في المخيم صورت من جوس دراوي 1987،" فلسطين في الذاكرة، 2 تشرين الأول 2025، شوهده في 4 نيسان 2026.
https://www.palestineremembered.com/GeoPoints/Deheishe_R_C_2093/ar/Picture149498.html.

- إليساندرو ليفاتي، "عبر مدخل مخيم الدهيشة للاجئين الفلسطينيين،" مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 4 حزيران 2024، شوهده في 4 نيسان 2026.
<https://www.palestine-studies.org/en/node/1656409>.

- رهام الهلبسي، "مخيم الدهيشة،" فلسطين في الذاكرة، 30 أيار 2009، شوهده في 4 نيسان 2026.
https://www.palestineremembered.com/GeoPoints/Deheishe_R_C_2093/ar/Picture_50449.html.

[77] مسعود ضاهر، "عمران ابن خلدون والعمارة المعاصرة،" العربي، العدد 572، تموز 2006، شوهده في 4 نيسان 2026.
<https://alarabi.nccal.gov.kw/Home/Article/6604>.

[78] مؤرخ وأكاديمي فلسطيني ورئيس جامعة بير زيت بين 2021-2023.

- [79] بشارة دوماني، "العمارة بالحجر الجيري والرمل والطوب: نحو تاريخ حديث للفلسطينيين"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 1 شباط 2023، شوهد 4 نيسان 2026.
<https://www.dohainstitute.org/ar/Events/Pages/the-history-of-palestine-through-three-types-of-stones-seminar.aspx>.
- [80] المصدر نفسه.
- [81] أشهرها حجر جماعين في نابلس وحجر الخليل وحجر بيت فجار في بيت لحم وحجر بير زيت في رام الله وحجر قباطية في جنين.
- [82] تشطيب الطيزة: حجر بارز، والقشرة: وجه الحجر الطبيعي دون قص، والمُلطش: المُنقر الخفيف أو الخشن، والمسمم والمطّبة والناعم: النشر والمطّقي (المجلي) والفرشاة والجلدي والمحروق والمضروب بالرمل والمضروب بالأسيد والمُعْتق والممشط والتمبلد.
- [83] تصميم أفقي من الحجر يكمل الجزء العلوي من المبنى. تاريخياً يتمُّ استخدامه في المباني لتحويل مياه الأمطار بعيداً عن الجدران ويمنح العمارة لمسة جمالية وزخرفية.
- [84] الحجر البارز من واجهة البيت الداخلية أو الخارجية، ويستخدم لحمل مصابيح الزيت وكذلك حمل المشربية.
- [85] قوائم متتابعة من حجر أو حديد أو خشب يعلوها امتدادٌ طوليٌّ يُوضَع على جانبي السُّلم ليحمي الصَّاعد والنَّازل من السقوط، ويُوضع أيضاً على جوانب الشُّرفة.
- [86] "باب قصر قواس في بيت لحم"، صفحة أهالي بيت ساحور، 24 أيلول 2025، شوهد 4 نيسان 2026.
<https://www.facebook.com/photo/?fbid=1241088364715850&set=a.565938585564168>.
- [87] الشُّرفة الواسعة -البرندة تختلف عن الشُّرفة الصغيرة- البلكونة.